



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية مجلة فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية - فصلية - محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد: ١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

مجلة كلية العلوم الاسلامية

العدد (١) لعام ١٩٩٦

رقم الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
٩	أ.د محيي هلال السرحان	دور المسجد في مواجهة التحديات التي يواجهها العراق وبلدان العالم الاسلامي من اعداء الله والانسانية.
٢٥	د. محمد عطية صالح	المنهج المعرفي في القرآن الكريم.
٧١	د. عبد الرحمن مطلق الجبوري	تعانق الوقف في القرآن الكريم بين الاعراب والمعنى.
١٢٣	د. احمد محمد طه الباليساني	قضاء الفوائت.
١٤٧	د. فخري ابو صفية	علم القاضي في القضاء بين الجواز والمنع.
١٥٩	د. عبد الرؤوف ماضي خرابشة	الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة كتاب في تعريفات اصول الفقه وغيرها لشيخ الاسلام زكريا الانصاري دراسة وتحقيق.
٢١٣	د. فخري ابو صفية	الجريمة السياسية بين الشريعة والقانون.

تعانقُ الوقف في القرآن الكريم بين الأعراب والمعنى

الدكتور عبد الرحمن مطلق الجبوري
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

تقديمٌ وتعريفٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن والاه.
أما بعد.

فقد انزل الله سبحانه وتعالى قرآنه الكريم على نبيه محمد ﷺ مفرقا مفصلا
محكما^١ ليبلغه الى الناس كافة على تمهّل وتوعدة وترسل، فقال ﴿وَرَأَى أَنَا فَرْقَاهُ لِقِرْأَةٍ
عَلَى النَّاسِ عَلَيَّ مَكْتُومًا﴾^٢. وقد أمره عز وجل في جملة ما أمره ان يرتل
القرآن ترتيلاً^٣. والترتيل في القراءة معناه: الترسُّلُ فيها والتبيين^٤ من الرتل وهو
حسن تناسق الشيء وبياض الاسنان وكثرة مائها، ويُقال تُغَرُّ رَتْلٌ إذا كان
مستوي الثنيات^٥. وترسُّلٌ في قراءته، أي: اتأدَّ فيها وتمهَّل من الرسل في
الأمر والمنطق والتثبت والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا^٦. ومعنى
التبيين: الكشف والايضاح من بان الشيء بيانا، اتضح فهو بَيِّن^٧. ورتل القرآن
ترتيلا، أي: ارسله ارسالا وبينه تبينا ووضحه توضيحا وفصَّله تفصيلا، وذلك

^١ صحيح البخاري ٦/٢٤٠ "يُفَرَّقُ: يُفَصِّلُ. قال ابن عباس: فَرَّقْنَاهُ فَصَّلْنَاهُ"

^٢ الاسراء - ١٠٦.

^٣ الآية - ٤ من سورة المزمل * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً *

^٤ الصحاح (رتل).

^٥ نفسه.

^٦ الصحاح واللسان (رتل).

^٧ المصدران السابقان (بين).

كانه يتطلب توعية في القراءة وتمهلاً في الأداء يتحقق فيه التتابع ليطم التبيين الذي هو " تفصيل الحروف والوقف على ماتم معناه منها " ^٨.

وعلى هذا فترتيل القرآن " هو قراءته في تمهّل وتوعية بحيث تتابع الحروف والكلمات، فيأخذ كل حرف مكانه على الفم من كل كلمة، كما تأخذ الكلمة مكانها من كل آية حتى ينتظم جميعها موكب متحرك في نظام أشبه بحبات الدرّ في عقدها " ^٩، ولذا وجه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ، بقوله ﴿لَا تَجْرُلْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^{١٠} وعن الامام علي، عليه السلام، في قوله تعالى ﴿وَيُرْتَلِ الْقُرْآنُ تَرْتِيلًا﴾ قال: الترتيل تجريد الحروف ومعرفة الوقوف ^{١١}.

ونحن نعلم ان القرآن معجزة هذه اللغة، وهو اصل علومها نشأة وموضوعاً، فكلها صدرت عنه واستقت منه في كشف أسرارها وشرح الفاظها واطهار معانيه وتفسير اعجازها. ومن هذه العلوم التي صدرت عن القرآن ولازمته: الوقف والابتداء وهو علم قائم على البيان الذي أشار اليه تعالى بقوله ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلْقَ الْإِنسَانِ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ^{١٢}، ومن البيان، كما اسلفنا، " تفصيل الحروف، والوقف على ما قدم والابتداء بما يحسن الابتداء به، وتبيين ما يجب ان يُجتنب من ذلك " ^{١٣}. والقرآن الكريم موصوف بأنه ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ^{١٤} و ﴿أَنْ هُوَ الْوَاكُوفُ وَالْقُرْآنُ مَبِينٌ﴾ ^{١٥} وإذا كان النبي ﷺ، قد أمر بان يرتل القرآن ترتيلاً وبينه تبييناً، فان هذا الامر هو أمرٌ لأُمَّتِهِ ايضاً، فهم كذلك مأمورون بقراءته وتدبره وتفهمه ولاستماع له والانصات اليه، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

^٨ لقطع والانتفاف ٧٤.

^٩ التفسير القرآني للقرآن ١٢٥٠.

^{١٠} القيامة ١٦.

^{١١} الاتقان في علوم القرآن ١/٢٣٠.

^{١٢} الرحمن: ١-٤.

^{١٣} لقطع والانتفاف ٧٤.

^{١٤} النحل ١٠٣ ﴿لِسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

^{١٥} يس ٦٩.

تَعَانُقُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لعلكم ترجون ﴿١٦﴾ لَأَنَّهُ دُسْتُورُ حَيَاتِهِمْ، وَلِذَا حَثَّهُمْ عَلَيْهِ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ وَأَمَرَهُمْ بِهِ وَحَذَرَهُمْ مِنْ هَجْرِهِ وَتَعْطِيلِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَعَدَمِ الْحُكْمِ بِهِ وَالِإِحْتِكَامِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْغَاشِيَةِ تَلْوِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿١٧﴾ وَ﴿مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾ ﴿١٨﴾.

وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَتْ مَفْسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا ١٩، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً ٢٠، وَيَمُدُّ فِيهَا مَدًّا ٢١، وَقَدْ تَعَلَّمَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْوَقْفَ أَوْ الْقَطْعَ وَالِاسْتِثْنَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَمَافِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ، فَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ الصَّحَابَةَ " مَا نَوَا يُعَلِّمُونَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ، كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ " ٢٢ وَعَنْهُ، ﷺ، قَالَ " لَقَدْ عَشْنَا بَرَهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَنَّ أَحَدَنَا لِيُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَتَنْزِلَ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ.. " ٢٣.

الْوَقْفُ لُغَةً وَأَصْطِلَاحًا

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: " الْوَارُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَكُّثٍ فِي شَيْءٍ.. " ٢٤، وَالتَّمَكُّثُ مِنَ الْمَكْثِ، كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَوْقِفٍ وَأَنْتِظَارٍ ٢٥، يُقَالُ: وَقَفْتُ الدَّابَّةُ تَقْفُ وَقُوفًا وَوَقُفًا إِذَا حَبَسَتْ حَرَكَتَهَا وَتَحَلَّتْ عَنْهَا وَامْتَنَعَتْ، وَوَقَفْتُهَا أَنَا وَقُفًا

١٦ الاعراف ٢٠٤، وانظر المزمل ٢٠ ﴿فَأَنْزَلْنَا مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ﴾ وفصلت ٣، والقمر ١٧، ٢٢، ٢٢
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾

١٧ الزمر ٢٢، وانظر الزخرف ٤٤، الجن ١٧، المائدة ٤٤، ٤٥، ٤٧.

١٨ الزخرف ٣٦.

١٩ ينظر: سنن الترمذي ٤/٢٥٤، القطع والائتناف ٨٦.

٢٠ ينظر: القطع والائتناف ٨٧، الاتقان ١/٢٤٣.

٢١ ينظر: صحيح البخاري ٦/٢٤١ عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يمدُّ مَدًّا ".

٢٢ البرهان في علوم القرآن ١/٣٤٢، الاتقان ١/٢٣٠.

٢٣ القطع والائتناف ٨٧، وينظر: الاتقان ١/٢٣٠.

٢٤ مقاييس اللغة ٦/١٣٥.

٢٥ نفسه ٥/٣٤٥.

إذا قيدتها^{٢٦}، ولذا، فالوقف: الحبس^{٢٧} وهو ضد التخلية، قال تعالى ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾^{٢٨} أي حبسوا عليها أو بقربها معانين لها^{٢٩}، وقال: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم﴾^{٣٠}، أي: محبسون في موقف الحساب يستراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب..^{٣١} وجاء الحبس بمعنى الوقف في قوله تعالى ﴿حبسونهما من بعد الصلاة﴾^{٣٢} أي: تقفونهما لليمين واليمين الحلف^{٣٣}. وجاء الحبس بمعنى المنع في قوله تعالى ﴿ليقولن ما يجبسن﴾^{٣٤}، أي: أي شيء يمنعه من النزول^{٣٥}.

وسمي السوار وقفاً لاحتباسه في المعصم و "لأنه وقف بذلك المكان"^{٣٦}، ويقال: وقفت المرأة توقيفاً إذا جعلت في يديها الوقف. والحبسة: بضم الحاء، الصمت. وحكى أبو عمرو بن العلاء: كلمتهم ثم اوقفت، أي: سكت^{٣٧}. ويبدو أن الوقف قريب في دلاليته من القطع، ان لم يكن رديفه، وإذا كان القطع فصلاً وهو ضد الوصل كما في قوله تعالى ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾^{٣٨}، ويقال: قطعت الشيء، اقطعه قطعاً فأنقطع، أي فصلته فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل، أي: قطعته فانقطع، والتقاطع ضد التواصل، وانقطع الشيء: ذهب وقته، ومنه قولهم: انقطع البرد والحر^{٣٩}. إذا كان القطع كذلك،

^{٢٦} ينظر: الصحاح واللسان (وقف).

^{٢٧} في المقاييس ١٢٨/٢ "والحبس ما وقف".

^{٢٨} الانعام ٢٧.

^{٢٩} ينظر: زاد المسير ٢٢/٣، تفسير القرطبي ٤٠٨/٦.

^{٣٠} سبأ ٣١.

^{٣١} تفسير القرطبي ٣٠٢/١٤.

^{٣٢} المائدة: ١٠٦.

^{٣٣} ينظر: الكشاف ٦٨٧/١، التفسير الكبير ١١٧/١٢.

^{٣٤} هود ٨.

^{٣٥} ينظر: الكشاف ٣٨١/٢.

^{٣٦} مقاييس اللغة ١٣٥/٦.

^{٣٧} ينظر: الصحاح (وقف)، مقاييس اللغة ١٣٠/٦ وجمهرة اللغة ٩٦٨.

^{٣٨} البقرة ٢٧.

^{٣٩} ينظر: العين ١٣٦/١، الجمهرة ٩١٥، الصحاح (قطع).

تعانقُ الوقفُ في القرآنِ الكريمِ

فالوقف يعني: الحبس، كما اسلفنا، والمنع عن، والفصل والقطع ايضا، يقال: منعتُ الرجل عن الشيء فامتنع منه، أي: امرته بان ينفصل عنه فانفصل، فكأنه على صلةٍ به فانفصلَ عنه، ومنعتُ الدابة عن السير، أي: فصلتها عنه بالوقف بعد ان كانت متصلة به، ومنعت الرجل عن الكلام، أي: حبست صوته بعد تخلية، وقيدتُ لسانه بعد ان كان طليقا، فسكتَ بعد تكلمٍ.

ولذا، استعمل اسلافنا الكرام هاتين الكلمتين للدلالة على معنى واحد أو على معنيين متقاربين، فقالوا: الوقف والابتداء، والقطع والائتلاف أو الاستئناف^{٤٠}.

أما الوقف من حيث كونه علما من علوم القرآن فهو: تعمُدُ السكوت بحبس الصوتِ وعدم وصل النطق به لعلل اعرابية نحوية او اسباب معنوية تفسيرية في اثناء الكلام او القراءة اعتمادا على تمام المعنى لانتهاء العبارة.

وهذه الامور (اعني: العلل الاعرابية والاسباب المعنوية وتمام المعنى وانتهاء العبارة) مرتبطة ارتباطا وثيقا، بل قائمة على ماللعرابية من خصائص ومميزات لا توجد في غيرها من اللغات، بها يتم فهمُ العبارات وتُعرفُ معاني الكلمات وتُدرك الالفاظ والمدلولات، نهضت بها جميعا علوم العربية والقرآن صيانة لكتاب الله وفهما لآياته، ولذا صارت معرفة هذا الفن تحتاج الى كثير من هذه العلوم كالنحو وتقديراته والقراءات واحتجاجاتها والتفسير وما يتصل به والقصص وتلخيص بعضها من بعض واللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والفقهاء واختلاف الفقهاء في احكام القرآن، وقواعد المتكلمين وغير ذلك^{٤١}.

وعلى هذا عُدَّ الوقف والابتداء علما جليلا من علوم القرآن له اهميته البالغة في تلاوة القرآن وكيفية ادائه، لصلته الوثيقة بتبيين معاني الآيات القرآنية تفسيريا وتأويلا وما يتبع ذلك من استنباطات غزيرة وحرص على تجنب الخطأ وأمن

^{٤٠} ذهب الاقدمون الى ان الوقف والقطع والسكت بمعنى، وفرَّق المتأخرون تفريقا لطيفا، فقالوا: القطع: عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل الى حالة اخرى غيرها، والوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زما يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لابنية الاعراض، والسكت: عبارة عن قطع الصوت زما هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس: ينظر: النشر ٢٣٩/١-٢٤٠، الاتقان ٢٤٣/١-٢٤٤، منار الهدى: ٦.

^{٤١} ينظر: القطع والائتلاف ٩٤، البرهان في علوم القرآن ٣٤٣/١، الاتقان ٢٤١/١-٢٤٣.

اللبس واحتراز الوقوع في المشكلات^{٤٢} ولذلك حَضَّ الأئمة على تعلمه ومعرفته، ونصوا على ان معرفته من تمام معرفة القرآن^{٤٣}. وهو علمٌ، كما يقول النحاس، " يحتاج اليه جميع المسلمين لانهم لابد لهم من قراءة القرآن.. على اللغة التي انزله الله جل وعز بها وهو فضلها ومدحها.."^{٤٤}. ويبدو ان الاهتمام بهذا العلم ومعرفته وصلت عند الصحابة الى حد التناصح بينهم بضرورة أن يقف المتعلم على ما يحتاج اليه من القطع وما ينبغي ان يستأنف به، وكانوا، رضوان الله عليهم، " يتجنبون قي قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض ويتعلق آخره بأوله"^{٤٥}.

وهذا كله قائم على التفريق بين المعاني تفريقاً يصل بالقارئ الى مستوى من الفهم يمكنه من تحديد موضع الوقف ونوعه ان كان وقفاً تاماً او كافياً او حسناً او قبيحاً^{٤٦} ومعنى النص ومفهومه يتغير بتغير مواضع الوقف على حسب صلتها بالعلوم الاخرى آنفة الذكر، فقد يكون الوقف تاماً على تفسير غير تام على اخر، وكذلك بالنسبة الى الاعراب والقراءة، أي ان مواضعه تختلف باختلاف اسبابه وعلله، ولذا ينبغي لقارئ القرآن اذا قرأ " أن يفهم ما يقرأ ويشغل قلبه به، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن يفهم المستمعين في

^{٤٢} ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٤٢.

^{٤٣} ينظر: الاتقان في علوم القرآن ١/٢٣٠.

^{٤٤} القطع والائتناف: ٧٤.

^{٤٥} ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٠، وفي الاتقان ١/٢٤٣ " لأئمة القراء مذاهب في الوقف والابتداء فنافع كان يراعي محاسنها بحسب المعنى، وابن كثير وحمزة حيث ينقطع النفس، وعاصم والكسائي حيث تم الكلام، وابوعمر و يعتمد رؤوس الآية ويقول: هو أحب اليّ فقد قال بعضهم: أن الوقف عليه سنة " وينظر: النشر ١/٢٣٨.

^{٤٦} الوقف التام: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لعدم تعلق ما بعده به، والوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه ايضا، والابتداء بما بعده وأن كان ما بعده متعلقاً من جهة المعنى دون اللفظ. والوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهتي اللفظ والمعنى، والوقف القبيح: هو الذي لا يعرف المراد منه، ولذا يُنهي عنه ويُكره الا لانقطاع نفس ضرورة ثم الرجوع الى ما قبله ليصله بما بعده، يُنظر في ذلك: ايضاح الوقف والابتداء ١٤٩، المكتفى في الوقف والابتداء ١٠٧-١١١، البرهان في علوم القرآن ١/٣٥ وما بعدها، النشر ١/٢٢٦-٢٣٠، الاتقان ١/٢٣٣.

تَعَانِقُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الصَّلَاةِ وَغَيْرَهَا، وَإِنْ يَكُونُ وَقْفُهُ عِنْدَ كَلَامٍ مُسْتَعْنٍ أَوْ شَبِيهِهِ، وَأَنْ يَكُونَ ابْتِدَاؤُهُ حَسَنًا... ٤٧.

تَعَانِقُ الْوَقْفِ

فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ لَهُ مَقْطَعَانِ، إِذَا وَقَفَ عَلَى الْأَوَّلِ وَجِبَ الْوَصْلُ فِي الثَّانِي، وَإِذَا وَصِلَ فِي الْأَوَّلِ وَجِبَ الْوَقْفُ عَلَى الثَّانِي سُمِّيَ وَقْفًا مَعَانِقًا أَوْ تَعَانِقًا وَقَفِيًّا. مِنَ الْعِنَاقِ وَالْمَعَانِقَةِ، يُقَالُ: عَانَقَهُ مَعَانِقَةً إِذَا جَعَلَ يَدَيْهِ عَلَى عُنُقِهِ وَضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَتَعَانَقَا وَعَانَقَا ٤٨. وَجَاءَ الْقَوْمُ عِنَاقًا وَاحِدًا، إِذَا جَاءُوا يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَعَانَقَتِ الرَّجُلَ مَعَانِقَةً وَعِنَاقًا إِذَا التَزَمْتَهُ فَادْنَيْتَ عُنُقَكَ مِنْ عُنُقِهِ ٤٩. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْإِلْتِزَامَ وَالْتِتَابِعَ وَالتَّقَارُبَ وَالتَّدَانِيَّ بَيْنَ الْمَقْطَعَيْنِ فِي الْكَلَامِ أَوْ الْآيَةِ لَا يَتَحَقَّقُ الْوَقْفُ عَلَى أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ إِلَّا بِتَوْفُرِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِمَجْتَمَعَةٍ لَتَمْنَعُ جَوَازَ الْوَقْفِ عَلَى الْمَقْطَعَيْنِ مَعًا فَيُضْطَرُّبُ الْمَعْنَى اضْطِرَابًا يُخْلِلُ بِالْفَصَاحَةِ، إِذَا الْوَقْفُ تَابَعَ لِلْمَعْنَى، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْطَعَ الْأَوَّلَ يَتَّصِلُ بِمَا قَبْلَهُ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ، وَيَتَّصِلُ الْمَقْطَعُ الثَّانِي بِمَا بَعْدَهُ، وَإِذَا وَقَفَ عَلَى الْمَقْطَعِ الثَّانِيِ اتَّصَلَ بِالْأَوَّلِ وَانْقَطَعَ عَمَّا بَعْدَهُ. أَمَّا إِذَا وَقَفَ عَلَى الْأَوَّلِ فَاتَّصَلَ بِمَا قَبْلَهُ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الثَّانِيِ فَقَدْ انْقَطَعَ عَمَّا قَبْلَهُ وَعَمَّا بَعْدَهُ فَيُضْطَرُّبُ الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْمَقْطَعَ الثَّانِيَّ سَيَكُونُ، وَالْحَالَةَ هَذِهِ، لَعَا زَائِدًا وَحَشَا لَا مَعْنَى لَهُ وَلَا مُسَوِّغَ لِإثْبَاتِهِ، وَإِلَى هَذَا إِشَارَةُ الزَّرْكَشِيِّ بِقَوْلِهِ " مِنْ خَوَاصِّ الْوَقْفِ التَّامِّ الْمَرَاقِبَةُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لَهُ مَقْطَعَانِ عَلَى الْبَدَلِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا فُرِضَ فِيهِ الْوَقْفُ بِهِ وَجِبَ الْوَصْلُ فِي الْآخَرِ، وَإِذَا فُرِضَ فِيهِ الْوَصْلُ وَجِبَ الْوَقْفُ عَلَى الْآخَرِ ٥٠، وَأَرَضَحَ الْجَزْرِيُّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: " قَدْ يَجْجِيزُونَ الْوَقْفَ عَلَى حَرْفٍ، وَيَجْجِيزُونَ الْوَقْفَ عَلَى آخَرَ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْوَقْفَيْنِ مَرَاقِبَةٌ عَلَى التَّضَادِّ، فَإِذَا وَقَفَ عَلَى أَحَدِهِمَا امْتَنَعَ الْوَقْفُ عَلَى الْآخَرِ، كَمَنْ أَجَازَ الْوَقْفَ عَلَى " لَا رَيْبَ " فَأَنَّهُ لَا يَجْجِيزُهُ عَلَى " فِيهِ " ٥١.

٤٧ القطع والانتناف ٩٧.

٤٨ يُنظَرُ: الصَّحَاحُ (عَنْ) وَفَرَقَ الْخَلِيلُ بَيْنَ الْإِعْتِنَاقِ وَالْمَعَانِقَةِ فَجَعَلَ الْمَعَانِقَةَ فِي حَالِ الْمُرُودَةِ وَالْإِعْتِنَاقَ فِي أَحْرَبٍ وَنَحْوِهَا وَتَقُولُ: اعْتَنَقُوا فِي الْحَرْبِ وَلَا تَقُولُ: تَعَانَقُوا وَالْقِيَاسُ وَاحِدًا: الْعَيْنُ ١/١٦٨.

٤٩ يُنظَرُ: جَهْرَةُ الْغَةِ ٩٤٢.

٥٠ الْبِرْهَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ١/٣٦٥.

٥١ النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ١/٢٣٧، وَيُنظَرُ الْإِتْقَانُ ١/٢٤١.

وهذا النوع من الوقف قليل في القرآن، ومواطنه لا تكادُ تتجاوز العشرة عدداً، اثنان في البقرة، واثنان في المائدة، وواحد في كُُلِّ من آل عمران والاعراف و ابراهيم والقصص والاحزاب، وسنقف، في بحثنا هذا، ان شاء الله تعالى، عند كُُلِّ موطن من مواطنه ونتأمل كُُلَّ موضع من مواضعه معانقين الآيات التي تنتظمه بمعنيين، النظر فيها من جانبي المعنى قراءة وتفسيرا، والنحو اعرابا وحكما، سائلين المولى عزَّ وجلَّ أن يُلهمنا الصواب ويجنبنا الزلل في القول والعمل، ويجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم انه هُوَ البرُّ الرَّحِيم.

أَلْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ

في الآية الثانية من سورة البقرة تعانق الوقف عند " ريب " و " فيه " في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والعلماء (قراء ونحاة) في هذين الوقفين فريقان: فريق يقف على " ريب " ثم يتبدى مسأناً بـ " فيه "، وفريق يقف على " فيه " ويتبدى بـ " هدى للمتقين "، وللآية مع كل من هذين الوقفين وجوه من الاعراب والمعنى ستقف عند أهمها ونبسط القول فيها ان شاء الله تعالى.

١. الوقف على " ريب " أي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾ فـ " ذلك " مبتدأ و " الكتاب " خبره و " لا " نافية للجنس و " ريب " اسمها، أما خبرها فمحذوف، على سنن العرب في كلامهم، للعلم به، ولا خلاف في جواز حذفه بكثرة عند الحجازيين، اذا عُلِمَ او دَلَّ عليه دليل^{٥٢} فضلاً عن كون حذفه واجباً، والحالة هذه، عند بني تميم والطائيين من العرب^{٥٣} والى هذا أشار ابن مالك بقوله^{٥٤}:
وشاع في ذا الباب اسقاط الخبر

إذا المراد مع سقوطه ظهر

ومن نظائر " لا ريب " في حذف خبر " لا " قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^{٥٥} أي لا ضير علينا^{٥٦}، وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ نَزَعُوا مِنَّا الْفُوتَ وَأَخَذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^{٥٧}، أي: لا فوت لهم^{٥٨}. ومنه ايضاً، كلمة التوحيد " لا إله إلا

^{٥٢} فان لم يدل على خبر " لا " دليل لم يحز حذفه عند الجميع نحو قوله (لا احدٌ أُغَيِّرُ من الله) و " أُغَيِّرُ " خير لا ولو حذف لما عُلِمَ. ينظر: شرح ابن عقيل ٤١٣/١.

^{٥٣} ينظر: الكتاب ٢/٢٧٩، ٢٧٩-٢٨٠، المقتضب ٢/٤١٥١، ٤٢٦/٤، تسهيل الفوائد ٦٧، شرح ابن عقيل ٤١٣/١، مغني اللبيب ٣١٥، الفوائد الضيائية ٣٠٣/١.

^{٥٤} شرح ابن عقيل ٤١٢/١.

^{٥٥} الشعراء ٥٠.

^{٥٦} ينظر: مغني اللبيب ٣١٣، ٣١٥.

^{٥٧} سبأ ٥١.

^{٥٨} ينظر: مغني اللبيب ٣١٣، ٣١٥.

الله " أي: لا إله موجود، وقول العرب " لا بأس " و " لا براح " أي: لا بأس عليك ولا براح لك^{٥٩} فاضمروا خير لا النافية للجنس. وعلى هذا فالواقف على " ريب " لأبْدُ من أن ينوي خيراً لـ " لا "، والتقدير " لا ريب فيه "، فيه هدى للمتقين " ف " فيه " المحذوف أو المضمّر، يعود على الكتاب، وبتقديره يتضح المعنى. ولعدم وجود نظير لهذا الوقف^{٦١}، ولأن بعض النحاة^{٦٢} يشترط لصحته صحة الوقف على نظير له، قبل، لا يوقف على " ريب " ولا بدُّ من ذكر العائد المحذوف وهو " فيه ". وهذا تعسف وتمحل، لكون حذف خير " لا " أو اضمارُهُ، إذا عَلِمَ، صحيحاً في العربية وشائعا وغير بعيد في القياس على ما ذكرنا آنفاً، هذا فضلا عما روي عن نافع المدني وعاصم الكوفي، وهما من السبعة، من انهما وقفا على " لا ريب " ^{٦٣} ولما كانت " لا " دالة على نفي الحكم عن جنس اسمها " ريب " وقصِدَ بها التنصيص على أستغراق النفي لافراد الجنس كله^{٦٤} كان نفي الريب عن خبرها المحذوف العائد الى الكتاب نفيًا عاما عمَلت فيه عمل (إن)، ولكونه مفردا نكرة رُكِبَ معها وُيْنِيَ على ما كان يُنصَبُ به^{٦٥}، وعِلَّةُ بئائه تضمنه معنى " من " لتدل " لا " على نفي الجنس، والتقدير: " لا من ريب " ^{٦٦}. والمعنى على هذا:

^{٥٩} ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٤٨٩، المكثفي في الوقف والابتداء ١١٨، فتح القدير ٣٣/١.

^{٦٠} ينظر: المكثفي ١١٨، الكشاف ٣٤/١، تفسير البيضاوي ١٥/١، منار الهدى ٢١.

^{٦١} أي: لم يرد الوقف على (ريب) في قوله تعالى ﴿تَزِيلُ الْكِتَابَ لِمَنْ رِبِّيهِمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ السجدة ٢٤١. ^{٦٢} أحمد بن جعفر، ذكر ذلك النحاس في (القطع والانتشاف) ٣١١، والاشموني في (منار الهدى) ٢١، وفي ايضاح الوقف والابتداء ٤٨٨ " وحكي أن رجلاً من النحويين طعن على هذا المذهب وقال: الوقف على " لا ريب " خطأ لأن (الكتاب) لا عائد له في صليته وصفته، ومستحيل أن تخلو الصلة والصفة من عائد على الموصول والموصوف.."

^{٦٣} ينظر: القطع والانتشاف ١١٣ وفيه " قال نافع " لا ريب " تمام، ورد عليه احمد ابن جعفر، قال: " لانه لا بد من عائد، وهذا لا يلزم.. وينظر ايضا: المكثفي ١١٨، الكشاف ٣٥/١، فتح القدير ٣٣/١.

^{٦٤} وتمييزا لها من " لا " التي لنفي الوحدة فليست نفا في نفي الحكم عن افراد الجنس كله، وانما تحمل نفيهُ عن الواحد فقط وعن الجنس كله " النحو الوافي ٥٠٧/١، وينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥.

^{٦٥} ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٣/١، تسهيل الفوائد ٦٧.

^{٦٦} ينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥ " الا ترى انك تقول: لا رجل في الدار، فتفتي الواحد ومازاد عليه، فان قلت لا رجل في الدار فرفعت ونوّتت نفيت الواحد ولم تنفّر ما زاد عليه، اذ يجوز ان يكون فيها اثنان

تَعَانُقُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ان القرآن الكريم ينزوله من عند الله تعالى وكونه صفةً من صفاته سبحانه: لا شك في أنه حق يقين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس بمظنّة، للشك، وفيه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه بوجه من الوجوه، وان وقع للكفار ريب^{٦٧}.

وإذا أعرب " ذلك " مبتدأ و " الكتاب " صفته، كانت جملة " لا ريب " في محل رفع خبر ذلك^{٦٨} وقال الفراء " اذا اردت ب " الكتاب " ان يكون نعتا لـ " ذلك " كان الهدى في موضع رفع لانه خير لـ " ذلك " كأنك قلت: ذلك هدى لاشك فيه " ^{٦٩}.

والوقف على " ريب " يُوجبُ استئناف التلاوة او ابتداءها ب ﴿فِيهِ هَدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ولا يُجيزُ الوقف على " فيه " لأنَّ " فيه " انقطع عما قبله " ريب "، واتصل بما بعده " هدى " ويعرب، على الأرجح، خيرا مقدا " شبه جملة " و " هدى " في موضع رفع مبتدأ مؤخرا^{٧٠}.

٢. الوقف على " فيه " أي ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و " فيه " شبه جملة في موضع رفع خبر " لا " ويتعلق بمحذوف تقديره " لا ريب كائن فيه " ^{٧١}

او اكثر.. وينظر ايضا: اعراب القرآن للنحاس ١/١٢٨، البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٤، تفسير البيضاوي ١/١٥، وفي الفوائد الضيائية ١/٤٣٨ " وانما بني لتضمنه معنى (من)، اذ معنى (لا رجل في الدار): لا من رجل فيها لانه جواب لمن يقول: هل من رجل في الدار؟ حقيقة او تقديراً فحذف (من) تخفيفاً "

^{٦٧} ينظر في ذلك: الكشف ١/٣٧، تفسير القرطبي ١/١٥٩، تفسير النسفي ١/١١، تفسير ابن كثير ١/٣٩، فتح القدير ١/٣٣.

^{٦٨} ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١/١٢٨، القطع والانتشاف ١/١١٣، ونسب هذا الاعراب الى الاخفش وحكاه عنه ابو حاتم، مشكل اعراب القرآن ١/٧٤، البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٤، التسهيل لعلوم التنزيل ١/٦١، فتح القدير ١/٣٣.

^{٦٩} معاني القرآن ١/١١.

^{٧٠} ينظر: مشكل اعراب القرآن ١/٧٤، البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٥، الكشف ١/٣٦، البيان في اعراب القرآن ١/١٥، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ٢٦٧، التسهيل لعلوم التنزيل ١/٦١، تفسير البيضاوي ١/١١٥، فتح القدير ١/٣٣.

^{٧١} اذا كان الخبر ظرفا او جارا وجرورا فانه يتعلق بمحذوف واجب الحذف يُقدَّرُ بـ كائن او استقر، والى هذا أشار ابن مالك في الغيته بقوله:

و " لا " وخبرها في موضع رفع خير " ذلك " ^{٧٢} .
 وهذا الوقف، أي الوقف على " فيه " هو المشهور والارجح ^{٧٣} لتعين خبر " لا " في هذا الموضع وكل نظائر " لا ريب " في القرآن الكريم وعدم جواز الوقف او قطع الكلام على " ريب " في جميعها، بل الاجماع هو الوقف على " فيه " كما في قوله تعالى ﴿المرتزلة الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ^{٧٤} ، وقوله تعالى ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه﴾ ^{٧٥} ، وقوله ﴿كيف اذا اجمناهم ليوم لا ريب فيه﴾ ^{٧٦} قال ابن كثير: " والوقف على قوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ اولى للآية.. لانه يصير قوله تعالى " هدى " صفة للقرآن، وذلك ابلغ من كون فيه هدى ^{٧٧} .

والوقف على " فيه " يوجب قطعه عما بعده ووصله بما قبله لانه خير " لا " فيكون الوقف عليه تاماً. وعلى هذا ف " هدى للمتقين " يكون مرفوعاً على الاستئناف لتمام ما قبله ^{٧٨} فيعرب مبتدأ والخبر محذوف تقديره " فيه " أي: لا ريب فيه فيه هدى ^{٧٩}

وأخبروا بظرف او بحرف جر فاوين معنى " كائن " أو " استقر "

شرح ابن عقيل ٢٠٩/١ وما بعدها، وينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥.

^{٧٢} ينظر: مشكل اعراب القرآن ٧٤/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٤/١، التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/١.

^{٧٣} ينظر: الكشاف ٣٥/١، تفسير النسفي ١١/١ / التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/١، مغني اللبيب ٧٧٤، تفسير ابن كثير ٣٩/١، فتح القدير ٣٣/١.

^{٧٤} السجدة: ٢٠١.

^{٧٥} يونس ٧٣.

^{٧٦} آل عمران ٢٥، أنظر آل عمران ٩، النساء ٨٧، الانعام ١٢، الاسراء ٩٩، الكهف، ٢١، الحج ٧، غافر ٥٩، الشورى ٧، الجاثية ٢٦، ٣٢.

^{٧٧} تفسير ابن كثير ٣٩/١.

^{٧٨} ينظر: معاني القرآن للفراء ١١/١.

^{٧٩} ذهب البصريون الى ان الظرف " فيه " لا يرفع المبتدأ اذا تقدم عليه وانما يرتفع بالابتداء وعندهم ايضا ان المبتدأ يرتفع بالابتداء. وذهب الكوفيون الى أن الظرف يرفع الاسم اذا تقدم عليه وعندهم ايضا ان المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ ينظر في ذلك: الانصاف في مسائل الخلاف ٤٤/١ - ٥٢ المسألان ٦٥، شرح ابن عقيل ٢٠١/١.

تَعَانُقُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أو يعربُ خيراً لمبتدأ محذوف تقديره هو" ، أي هدى للمتقين ^{٨٠} ، وقد يعرب خيراً ثانياً بعد خير ، أي : ان " ذلك " مبتدأ و " الكتاب " عطف بيان ، وجملة " لا ريب فيه " في موضع رفع خير أول و " هدى " خبر ثان ^{٨١} ، والمعنى : أنه جمع بين كونه لا شك فيه وبين كونه هدى ^{٨٢} أي : جمع الصفتين ، وتعدد الخبر للمبتدأ الواحد جائز في العربية واليه أشار ابن مالك بقوله ^{٨٣}

وأخبروا بثنين أو بأكثرنا عن واحد كهم سراة شعرا

سواء كان الخبران في معنى خير واحد نحو " هذا حلو حامض " أي : مُزٌّ ، أم لم يكونا كذلك ، نحو " زيد قائم ضاحك " . قال الفراء : " وان جعلت " لا ريب فيه " خير " ، أي خير ذلك ، وقعت أيضاً " هدى " ، تجعله تابعا لموضع " لا ريب فيه " كما قال الله عز وجل ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ ^{٨٤} كانه قال : وهذا كتاب وهذا مبارك ، وهذا من صفته كذا وكذا " ^{٨٥}

وبعد : فالوقف في الآية إما على " ريب " واما على " فيه " ولا يجوز عليهما معا . فاذا كان على " ريب " فانه تام ان رُفِعَ " هدى " بالابتداء و " فيه " خبره . ويكون كافيا ان جعل خير " لا " محذوفا على ما ذكرنا من سنن العرب في ذلك . واذا كان الوقف على " فيه " فانه تام أيضا ان جعل " هدى " مبتدأ مرفوعا بالابتداء وخبره محذوف تقديره " فيه " ^{٨٦} وكذا اذا جعل خيرا ثانياً لـ

^{٨٠} يُنظر : ايضاح الوقف والابتداء ، ٤٨٧-٤٨٨ ، القطع والانتفاء ، ١١٣ ، مجمع البيان ٣٥/١-٣٦ ، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٥/١ ، التبيان في اعراب القرآن ١٥ ، التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/١ ، البحر المحيط ٣٧/١ .

^{٨١} ينظر : مشكل اعراب القرآن ٧٤/١ ، الكشاف ٣٦/١ ، مجمع البيان ٣٥/١ ، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٥/١ .

^{٨٢} اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ١٧١ .

^{٨٣} شرح ابن عقيل ٢٥٦/١-٢٥٧ .

^{٨٤} الانعام ٩٢ و ١٥٥ .

^{٨٥} معاني القرآن ١١/١ .

^{٨٦} هذا على منهج سيوييه وجمهور البصريين ، او مرفوع بالظرف على قول الاخفش والكوفيين . انظر : البيان في غريب اعراب القرآن ٤٦/١ .

" ذلك " بمعنى انه جمع بين كونه لاشك فيه وبين كونه هدى ^{٨٧}. ويكون كافيا ان جعل " هدى " خيرا لمبتدأ محذوف تقديره " هو " ^{٨٨}.
ويبدو ان الوقف على " فيه " في هذه الآية هو الاولى والأرجح لأن الهدى مع هذا الوقف يكون لازمة للقرآن، أي ان القرآن كله هدى، والمعنى، كما قال المراد، " لا ريب فيه انه هدى للمتقين " ^{٨٩} وهذا ابلغ من كون فيه هدى، ولذا ذهب العلماء الى أن هذا الوقف هو المشهور.

^{٨٧} او انه نفى ان يكون فيه ريب. وانه فيه هدى.

^{٨٨} وكذا ان جعل تابعا لموضع (لا ريب فيه) والمعنى: ذلك الكتاب وذلك هدى.

^{٨٩} زاد المسير ١/٢٤.

المَوْضِعُ الثَّانِي

في الآية السادسة والتسعين من سورة البقرة تعانق الوقف عند "حياة" و "والذين أشركوا" في قوله تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا مِّنْ عَمَلِهِمْ فَمِنْ أَيِّ حَيَاةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَرْوِي أَحَدُهُمْ لَوْ عَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

والحديث في الآية عن اليهود بعد ذكر مواقفهم من موسى، عليه السلام، والرسل الذين أرسلوا إليهم من بعده وادعائهم أنهم شعب الله المختار، والآخرة إنما هي مخصوصة لهم دون سواهم، وقد أخير سبحانه وتعالى عنهم لن يتمنوا الموت أبدا بسبب ما اقرتفوا من ذنوب وارتكبوا من معاص واجترحوا من سيئات^{٩٠} ثم أكدَّ جَلَّ وَعَزَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ بصيغة القسم أنهم في غاية الحرص على الحياة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا مِّنْ عَمَلِهِمْ فَمِنْ أَيِّ حَيَاةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَرْوِي أَحَدُهُمْ لَوْ عَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فتعانق الوقف او حدثت المراقبة بين " حياة " و " اشركوا " ولأبداً للقارئ أن يقف عند احد هذين الوقفين دون الآخر.

١. الوقف على " حياة "، أي: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، الواو: واو قسم محذوف، لتجدنهم: اللام واقعة في جواب القسم المحذوف، تجدُنْ: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ينصب مفعولين، وفاعله الضمير المستتر فيه المقدر بـ " أنت " العائد على محمد ﷺ، والنون: حرف مؤكد مبني على الفتح لا محل له من الاعراب، و " هم " المفعول الاول لـ " تجد " اما المفعول الثاني فـ " أحرص "، وعلى حياة: جار ومجرور، وتنكير " حياة "

^{٩٠} ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لِكُلِّ أُمَّةٍ لِّأَخْرَاجِهَا مِنْ عِندِ اللَّهِ خَالِصَةٌ مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَمَّا يَمُنُّوا إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَى الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتِنَا لَمَّا كَفَرَ فَأَشْرَكُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَبِينَ﴾

للتحقير^{٩١}، وهناك من قدر انها على حذف مضاف، أي: "على طول حياة"^{٩٢} أو على حذف صفة، أي: "على حياةٍ طويلة"^{٩٣}.
قال ابو حيان: "ولو لم يُقدَّر حذف لصحَّ المعنى وهو ان يكون أحرص الناس على مطلق حياة"^{٩٤}.

والمعنى، على هذا الوقف الذي يجعل تمام الكلام في "حياة"، هو: والله يا محمد لتجدنَّ اليهود أشدَّ الناس حرصا على أحقر حياةٍ يُمكنُ ان تتحقق بأدنى زمان وأقلُّ لبثٍ في الدنيا ولو ساعة، ولذا أتى بصيغة أفعال من الحرص مبالغة في شدة طلبهم للبقاء ودوام الحياة، وشدة كراهيتهم للموت "ولو عاشوا على أن يزدادوا حياة الى حياتهم وان كان الزائد أقلَّ ما يصدق عليه أسم الحياة"^{٩٥}.
والوقف على "حياة" يوجب استئناف التلاوة بـ "ومن الذن أشركوا يودُّ أحدهم.." ولا يُحيزُ الوقف على "اشركوا" لانقطاعه عما قبله واتصاله او تعلقه بما بعده، فيكون، والحالة هذه، كلاماً مبتدأ، والواو للاستئناف، لأن الكلام قد تم عند قوله ﴿على حياة﴾، ويحتمل المعنى وجهين: احدهما، ومن الذن أشركوا قومٌ أو أناسٌ يودُّ أحدهم لو يعمرَّ الف سنة، على حذف الموصوف "قوم" واقامة الصفة "يود أحدهم" مقامه^{٩٦}، وهذا (أعني حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه) باب لطيف في العربية لأنَّ الصفة هي الموصوف في المعنى^{٩٧} وقد أشار الى جواز حذف احدهما واقامة الآخر مقامه ابن مالك بقوله:

^{٩١} ينظر: زاد المسير ١/١١٦، التفسير الكبير ٣/١٩٢، فتح القدير ١/١١٥.

^{٩٢} كقوله تعالى ﴿إِذَا الْأَذْثَالُ خَضِعُوا لِلْحَيَاةِ وَخَضِعَ الْمَمَاتُ﴾ الاسراء ٧٤، أي: شعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. وقوله تعالى ﴿إلى مدينٍ أخاهم شعيباً﴾ الاعراف ٨٥، أي: والى أهل مدين: ينظر: شرح ابن عقيل ٢/٢٠٥ ومغني اللب ١١٧-٨١٩.

^{٩٣} نحو قوله تعالى ﴿وَأَخَذَ كُلَّ سِنِيَةٍ غَصْباً﴾ الكهف ٧٩، أي صالحة، وقوله ﴿إِن جِئْتُم بِالْحَقِّ﴾ البقرة ٧١، أي: الواضح. ينظر: مغني اللب ١١٨-٨١٩.

^{٩٤} البحر المحيط ١/٣١٣.

^{٩٥} ينظر: تفسير الطبري ٢/٣٦٩، زاد المسير ١/١١٦، تفسير القرطبي ٢/٣٤، البرهان الكاشف ١٣٦، التفسير الكبير ٣/١٩٢، تفسير النسفي ١/٦٣، البحر المحيط ١/٣١٢-٣١٣.

^{٩٦} ينظر: معاني القرآن للفراء ١/٦٣، التبيان في اعراب القرآن ٩٥، تفسير القرطبي ٢/٣٤، التفسير الكبير ٣/١٩٢، التسهيل لعلوم التنزيل ١/٩٥، البحر المحيط ١/٣١٤، تفسير البيضاوي ١/٧١.

^{٩٧} المقتصد في شرح الايضاح ٩٠٠.

تعالقُ الوقفِ في القرآنِ الكريمِ

" وما مِنْ المنعوتِ والنعتِ عَقِيلٌ يجوزُ حذفُهُ، وفي النعتِ يَقْلُ

أي: يجوزُ حذفُ الموصوفِ واقامة الصفة مقامه، اذا دلَّ عليه دليل..^{٩٨} وذهب ابن جني الى أن هذا الحذف انما يكثرُ في الشعر دون النثر، لما في الحذف " من الالباسِ وضد البيان. الا ترى انك اذا قلت: مررت بطويل؛ لم بتعين من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به انسان دون رمح او ثوبٍ او نحو ذلك. واذا كان كذلك كان حذف الموصوف انما هو متى قام الدليل عليه او شهدت الحال به. وكلما استبهم الموصوفُ كان حذفُهُ غيرَ لائقٍ بالحديث " ^{٩٩} وعلى هذا فالمعنى يَكُونُ اخباراً عن قوم او أناسٍ من المشركين^{١٠٠}، غير اليهود، لا يؤمنون بالبعث، ولا بالآخرة يود احدهم لو عاش او بقي على قيد الحياة الف سنة، لأنه آيس لفناء دنياه وانقضاء ايام حياته. فالضمير (هم) في احدهم يعود، في هذا القول، على المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليس على اليهود. وثانيهما: أن " ومن الذين أشركوا " اخبار بان اليهود من المشركين، لانهم قالوا: عزيز بن الله^{١٠١}، والضمير " هم " في " يود احدهم " يكونُ عائداً على اليهود^{١٠٢}.

٢. الوقف على " من الذين أشركوا "، يحتمل وجهين: احدهما: عطف " الذين أشركوا " على ما قبله " احرص الناس "، أي: ولتجدنهم أحرص الناس على حياةٍ ومن الذن أشركوا " فالواو في " ومن الذين أشركوا "، على هذا،

^{٩٨} شرح ابن عقيل ٢/٢٠٥، وينظر: مغني اللبيب ٨١٦-٨١٧، وينظر بتوسع النحو الوافي ٣/٣٩٨ وما بعدها.

^{٩٩} الخصائص ٢/٣٦٦.

^{١٠٠} قيل: المراد بالذين أشركوا المجوس الذين لا يصلقون بالبعث وكانوا يقولون لملكهم عش ألف فيروز والفاء مهرجان. وقيل: كان يقول بعضهم لبعض اذا عطس مامعنا: عش ألف سنة. وقيل: هم مشركو العرب. وقيل: بل كل مشرك لا يؤمن بالمعاد. تنظر في ذلك كتب التفسير.

^{١٠١} التوبة: ٣٠ " وقالت اليهود عزيز بن الله ".

^{١٠٢} ينظر: الكشف ١/١٦٨، البحر المحيط ١/٣١٤، فتح القدير ١/١٩٥؟ وذهب ابو علي الجبائي الى ان قوله ﴿ومن الذين اشركوا﴾ تقلديه ﴿ومن اليهود الذين اشركوا من يود لو يعس﴾. فحذف من، ورده علي بن عيسى بقوله: هذا غير صحيح لان حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع كما رده النحاس بقوله " المعنى في الآية لا يحتمل هذا وان كان جائزاً في العربية ". ينظر: مجمع البين ١/١٦٥، اعراب القرآن للنحاس ١/٢٠٠.

-حرف عطف وافادت هنا عطف الخاص " الذين اشركوا " على العام " اناس " ^{١٠٣}. وافراد الذن اشركوا بالذكر لشدة حرصهم على الحياة وافراط حبهم ما فيه توبيخ عظيم لليهود " لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بالمعاد وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يُستبعدُ لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ " ^{١٠٤}. والتقدير، على هذا: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة واحرص من الذين اشركوا على الحياة، فحذف أحرص الثانية لدلالة أحرص الاولى عليها ^{١٠٥}. والضمير " هم " في " احدهم " يعود في هذا القول على " اليهود " أي: يود الواحد من اليهود، لكونهم احرص على الحياة من سائر الناس، لو يُعمر الف سنة ^{١٠٦}، وزاد على حرص المشركين لعلمه بما اعدَّ الله لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل وبأنهم صائرون الى النار، فالمشركون لا يعلمون ذلك ^{١٠٧}.

وثانيهما: أن " ومن الذين أشركوا " متصل داخل تحت أفعل التفضيل فيكون من الحمل على المعنى ^{١٠٨} لان " احرص " افعل تفضيل وهي مؤولة بمعنى " من "، ومعنى " احرص الناس " احرص من الناس، فكأنه قال: ولتجدنَّ يا محمد اليهود من بني اسرائيل أحرص من الناس على حياة ومن الذين أشركوا ^{١٠٩} ف " من الذين اشركوا " معطوف على ما قبله بحسب المعنى.

وعلى هذا، فاذا اعتبرت جملة " ومن الذين اشركوا " متصلة بافعل التفضيل " أحرص "، فلا بد من ذكر " من " لأنَّ أحرص الناس جرى على اليهود بدليل الضمير " هم " في " لتجدنهم " العائد على اليهود، فلو تمَّ العطف بغير تأويل " "

^{١٠٣} لأن الذين اشركوا من الناس.

^{١٠٤} التفسير: الكبير ١٩٣/٣، وينظر: الكشاف ١٦٨/١، تفسير النسفي ٦٣/١، التسهيل لعلوم التنزيل ٩٥/١، روح البيان ١٨٥/١.

^{١٠٥} ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٢٤-٥٢٥، القطع والانتاف ١٥٥، اعراب القرآن للنحاس ٢٠٠/١، الكشاف ١٦٨/١، تفسير القرطبي ٣٤/٢، البرهان في علوم القرآن ٣٦٥/١.

^{١٠٦} ينظر: تفسير القرطبي ٣٤/٢، وذهب الداني الى أن يود احدهم استئناف خبر عن جمعهم (أي: اليهود والذين اشركوا) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٢٤.

^{١٠٧} ينظر: تفسير الطبري ٣٦٩/٢، الكشاف ١٦٨/١.

^{١٠٨} البحر المحيط ٣١٣/١.

^{١٠٩} تفسير الطبري ٣٢٩/٢، وينظر: اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ٢٨٩، روح البيان ١٨٥/١.

تعانق الوقف في القرآن الكريم

من " لكان " من الذين اشركوا " معطوفا على الناس، فيكون المعنى: ولتجدنهم احرص الذين اشركوا فيكون أفعال التفضيل، والحالة هذه، مضافا الى غير مااندرج تحته لأن اليهود ليسوا من المشركين الذين فسر بهم الذين اشركوا هنا^{١١١}. وجاء في مجمع البيان " وقيل انما دخلت من في قوله " ومن الذين اشركوا " ولم يدخل في قوله " احرص الناس " لانهم بعض الناس، والاضافة في باب أفعل لا تكون الا كذلك، تقول: الياقوت أفضل الحجارة ولا تقول الياقوت أفضل الزجاج، بل تقول: أفضل من الزجاج فلذلك قال: " من الذين أشركوا لان اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس " ^{١١١} والمعنى: ان اليهود احرص على الحياة من الناس الذين في زمانهم وأحرص من الذين اشركوا وهم (المجوس ومن لا يؤمن بالبعث)، ويكون " يود احدهم " حالا من الذين اشركوا اشركوا تقديره: وادأ احدهم، او حالا من الهاء والميم في " ولتجدنهم " أي: ولتجدنهم أحرص الناس وادأ احدهم ^{١١٢}.

وبعد فالوقف في هذه الآية اما على " حياة " واما على " أشركوا " ولا يجوز عليهما. فاذا كان على " حياة " فتام عند نافع ان جعل " ومن الذين اشركوا " متعلقا بما بعده لانه إما اخبار عن قوم من المشركين يودون طول الحياة، على حذف الموصوف " قوم " واقامة الصفة " يود " مقامه، واما على أن " يود احدهم " جملة في موضع الحال من قوله " ومن الذين اشركوا ". واذا كان على " أشركوا " فتام ان جعل معطوفا على ما قبله، أي " واحرص من الذين اشركوا " أو محمولا على معناه. وذهب ابو عمرو وابوحاتم الى انه كاف ^{١١٣}. ونص النحاس على أن " هذا، أي الوقف على " الذين اشركوا " هو قول أهل التأويل واهل اللغة والقراءات الا نافعا " ^{١١٤} أي: اختار الوقف على " حياة " على ما بينا آنفا.

^{١١١} البحر المحيط ١/٣١٢، وينظر تفسير الطبري ٢/٣٦٩.

^{١١١} مجمع البيان ١/٦٥.

^{١١٢} التبيان في اعراب القرآن ٩٥.

^{١١٣} ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٢٤، القطع والانتناف ١٥٤، منار الهدى ٣٧.

^{١١٤} القطع والانتناف ١٥٥.

ولما كان الوقف على "حياة" مرجوحا بالوقف على "أشركوا" لكونه اختيار الجمهور فهو الأولى، لان الكلام في الآية انما هو في شأن اليهود ولا يتحقق الا بالوقف على "اشركوا" في حين يخرج الكلام عنهم بالوقف على "حياة" ^{١١٥} ولذا قال الإمام الرازي " .. فالإليق بالظاهر أن يكون المراد: ولتجدن اليهود احرص على الحياة من سائر الناس ومن الذين اشركوا ليكون ذلك ابلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم، ان الدار الآخرة لنا لا غيرنا " ^{١١٦}

والذي يبدو لي أن الابتداء بـ " ومن الذين أشركوا " بعد الوقف على "حياة" إذا كان اخبارا بان اليهود من الذين اشركوا لقولهم عزيز بن الله، والضمير في "يؤد احدهم" يعود عليهم، فلا فرق في المعنى بين الوقفين.

^{١١٥} ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٩٥/١.

^{١١٦} التفسير الكبير ١٩٣/٣.

المَوْضِعُ الثَّلَاثُ

في الآية السابعة من سورة آل عمران عند "لا يعلم تأويله الا الله" و "الراسخون في العلم" في قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمر الكتاب وأخر مشابهات فالما الذين فقلوبهم زيغ فينبغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب﴾.

ومدار المراقبة بين هذين الوقفين هو قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ أيعدُّ معطوفاً على لفظ الجلالة "الله" فيكون تمام الكلام والوقف عنده، أم يُعدُّ مسأناً مرفوعاً بالابتداء فيكون الوقف عند لفظ الجلالة؟؟ هذا ما سنسبسط القول فيه.

١. الوقف عند لفظ الجلالة "الله": ﴿وما يعلم تأويله الا الله﴾ أي أن علم تأويل المتشابه منحصر بالله سبحانه وتعالى وحده مقصور عليه محجوب عن الناس، كل الناس، بما فيهم الراسخون في العلم. وقد استدلل القائلون بهذا الوقف وما يتبعه من معنى بقراءة ابن عباس وابي بن كعب وطاوس لهذه الآية "ويقول الراسخون في العلم آمنا به" ^{١١٧}، وبقراءة عبد الله بن مسعود ((ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)) ^{١١٨} ولذا عدُّ هذا الوقف تاماً ^{١١٩} وهو المختار عند السلف، كعائشة وابن مسعود وابي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم، وعروة بن الزبير وقتادة وعمر بن عبدالعزيز وابي واكثر اهل الحديث وبه قال نافع والكسائي ويعقوب الحضرمي والاخفش وابو عبيدة والفراء وابو حاتم وثلعب وابن الانباري وسواهم من أئمة العربية ^{١٢٠}. وعليه يكون "الراسخون" مستأنفاً منقطعاً عما قبله غير معطوف عليه، يُعرب مبتدأً وجملة "يقولون" في موضع رفعٍ خبره، والمعنى: ان الراسخين ابتدئ الخبر عنهم بانهم لا يعلمون

^{١١٧} تنظر هذه القراءة في: معاني القرآن للفراء ١/١٩١، تفسير الطبري ٦/٢٠٢، اعراب القرآن للنحاس ١/٣٠١، مشكل اعراب القرآن ١/١٤٩، الكشاف ١/٣٣٩، البيان في غريب اعراب القرآن ١/١٩٢، زاد المسير ١/٣٥٤، البحر المحيط ٢/٣٨٤.

^{١١٨} تنظر المصادر السابقة والنشر في القراءات العشر ١/٢٢٧ ومعجم القراءات القرآنية ٢/٧.

^{١١٩} الاتقان في علوم القرآن ١/٢٣٤.

^{١٢٠} تنظر المصادر السابقة والبيان في اعراب القرآن ٢/٢٣٩، أمالي المرتضى ٢/٩٦، منار الهدى ٥٨-٥٩.

تأويله بل يُؤمنون به، وعن عائشة، رضی الله عنها، قالت: "ومن رسوخهم في العلم ان آمنوا بمُحكّمه ومتشابهة ولم يعلموا تأويله " ١٢١ .

وذهب الشريف المرتضى الى ان المعنى على هذا الوقف قد يكون " وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله .. لان اكثر المتشابه قد يشمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعا ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذي يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة ان لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وان قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق، وليس في تكليفنا ان نعلم المراد بعينه، وهذا مثل الضلال والهدى اللذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على انه تعالى لم يُرِدْهُ، ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينه.. " ١٢٢

٢. الوقف على " والراسخون في العلم "، أي: لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم، فالراسخون مرفوع بالعطف على " الله "، فكأنه قال: لا يعلم تأويله الا الله والا الراسخون، او لا يعلم تأويله الا الله ويعلمه الراسخون ١٢٣ . فهم يعلمون المتشابه ولذلك وصفهم الله تعالى بالرسوخ في العلم ومدحهم، ولو كانوا جهالا بمعرفة المتشابه لما وُصفوا بالرسوخ في العلم ١٢٤ . وعلى هذا تكون جملة " يقولون آمنّا به " لا ابتداء لها وهي في موضع نصب على الحال، أي: انهم مع علمهم بالمتشابه " يقولون آمنّا به " فهي توضيح لحال الراسخين، والمعنى: " انهم يعلمونه قائلين آمنّا كل من عند ربنا، وهذا في غاية المدح لهم، لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم " ١٢٥ .

١٢١ تفسير الطبري ٢٠٢/٦ .

١٢٢ أمالي المرتضى ٩٧/٢ .

١٢٣ ينظر: تفسير الطبري ٢٠٤/٦، أمالي المرتضى ٩٤/٢، البيان في غريب اعراب القرآن ١٩٢/١ .

١٢٤ ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٣١٠/١، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١ .

١٢٥ أمالي المرتضى ٩٤/٢، وينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦ .

تعاقدُ الوقفِ في القرآنِ الكريمِ

وذهب ابن الانباري الى انه لا يتم الوقف على (في العلم) لأنَّ الراسخين مرفوعون بما عاد من (يقولون) ولا يحسن الوقف على المرفوع دون الرفع^{١٢٦}.
والذين اختاروا هذا الوقف^{١٢٧} قد استدلوا عليه بجملة امور منها، قول ابن عباس، رضي الله عنه "أنا ممن يعلم تأويله" وقول مجاهد "والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به"^{١٢٨}، وقالوا "ان الله تعالى لم يُنزل شيئا من القرآن الا لينتفع به عباده ويدل على معنى أرادته.."^{١٢٩}، وقالوا في القراءة المروية عن ابن عباس، والتي تنفي ما ذهبوا اليه: "إن صَحَّتْ فليس فيها حجة لمن قال الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله، ويكون تقديره: وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ويقول الراسخون في العلم آمنا به، فاطهر ضمير الراسخين لبيان المعنى^{١٣٠}.. الخ. وهذا كله لا يرقى الى درجة الاقناع واليقين ويبعد بالآية عن المعنى الحقيقي للفظه "تأويله"، اذ التأويل غير التفسير، وهم لم يفرقوا بينهما فوقعوا في الوهم وذهبوا الى أن العلماء والمفسرين كانوا وما زالوا الى يومنا هذا يفسرون كل آية ولم يقفوا عن شيء من القرآن ولم يقولوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله.

ومن الذين نبهوا على وهمهم هذا، الاستاذ عبدالكريم الخطيب، والقول في هذه المسألة مقاله وأثبتته، فقد فطن الى قضيتين؛

الاولى: ان التأويل، كما جاء في القرآن الكريم، لا يكون الا في مواجهة الامور المغلقة كالاحلام، وأضغاث الاحلام مستدلا على ذلك بقوله تعالى على لسان يوسف، عليه السلام، ﴿يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ مَوْعِدِي مِنْ قَبْلُ...﴾^{١٣١}،

^{١٢٦} ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦، وفي أمالي المرتضى ٩٦/٢ "ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ماتقدم.. أن يكون "يقولون آمنا به" استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله ﴿يقولون ثلاثا، اجمع كلمهم...﴾.

^{١٢٧} مجاهد والربيع بن أنس وابن قتيبة وابو سليمان الدمشقي والنحاس وابو طالب القيسي والزخشري والعكبري وابن الحاجب.. ينظر: تفسير الطبري ٢٠٣/٦، اعراب القرآن للنحاس ٣١٠/١، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١، الكشاف ٣٣٨/١، زاد المسير ٣٥٤/١، التفسير الكبير ١٧٦/٦، النشر ٢٢٧/١.

^{١٢٨} تنظر المصادر السابقة.

^{١٢٩} روح البيان ٦/٢.

^{١٣٠} ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦، اعراب القرآن للنحاس، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١.

^{١٣١} يوسف ١٠٠.

وقوله: ﴿بِنْتَابَاوِيلِ...﴾^{١٣٢} و ﴿أَنَا أَنْبِكْرِبْنَاوِيلِهِ فَاَرْسَلُون﴾^{١٣٣}، وعلى هذا فالتأويل هو فك طلاسم ورموز يقف الناس جميعاً أمامها حائرين ويقول فيها كل إنسان بقول، وينظر كل ناظر إليها بنظر... وهيهات أن يلتقي قول بقول، أو يقع نظر على نظر، فكل ما يقال فيها هو رجم بالغيب إلا من علمه الله تأويل الأحاديث^{١٣٤}.

والثانية: إن التشابه في هذه الآية هو تلك الأحرف المتقطعة التي تبدأ بها سور البقرة وآل عمران والأعراف و... الخ، فهذه الأحرف هي التي يقف أمامها دارس القرآن حائراً لا يدري لها مفهوماً إلا أن يكون ذلك بضرب من الحدس والتخمين، ولهذا كثرت فيها تأويلات المتأولين.. وكل الأقوال هي اجتهاد شخصي كالحديث عن شيء داخل صندوق مغلق، ولهذا كان أعدل قول فيها وأصدق هو القول: " والله أعلم بمراده "، فما يعلم تأويلها إلا الله^{١٣٥}.

إذن، فالآيات المتشابهة، والتي لا يعلم تأويلها إلا الله، هي كل ما استأثر الله تعالى بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كالأحرف المقطعة وموعد قيام الساعة وعدد زبانية جهنم وحقيقة الروح.. وغير ذلك بما لا يعلمه البشر. وهذا كله يمثل رابع الأوجه التي قام تفسير القرآن الكريم عليها والتي أشار إليها ابن عباس، رضي الله عنه بقوله: " تفسير القرآن على أربعة أوجه، تفسير لا يسع أحداً جهله، وتفسير تعرفه العرب بألستها، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى"^{١٣٦}. وهذا الأخير هو الذي تمسك به أهل الزيغ ومرضى القلوب ليقولوا في آياته المتشابهة ما يشاؤون ويحملوها من المعاني ما يريدون من مقولات طلبا منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبس عليهم، ولو كان طلب تأويل هذا التشابه جائزاً محموداً لما ذمَّ الله تعالى بقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾

^{١٣٢} يوسف ٤٥.

^{١٣٣} يوسف ٣٦.

^{١٣٤} التفسير القرآني للقرآن ٤٠١/٢.

^{١٣٥} المصدر السابق ٤٠٣/٢.

^{١٣٦} التفسير الكبير ١٧٧/٦.

تَعَانُقُ الْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وصح ان النبي ﷺ، حين قرأ هذه الآية قال: " فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه (أي في المتشابه) فهم الذين عنى الله فاحذروهم " ١٣٧ .
وبعد: فالوقف عند لفظ الجلالة في هذه الآية هو التأمُّ الراجح الذي أختاره جمهور السلف، ليكون العلم بتأويل هذا المتشابه مقصوراً على الله تعالى وحده، ويكون الابتداءً بعده بقوله: " والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " فهم والجاهلون سواء في هذا المتشابه لا يملكون ازاءه الا التسليم بالعجز، والا أن يقولوا: " آمنا به " على ما هو عليه، لانه هو والمحكم على سواء كل من عند ربنا ١٣٨، واذا كان هذا هو موقف الراسخين في العلم، فإن من السفاهة والحمق والجهل جميعاً ان يقول غيرهم مما لا رسوخ له في العلم، غير هذا القول. والا يؤمن إيمان عجز وتسليم كما آمن الراسخون " ١٣٩

١٣٧ تفسير الطبري ١٨٩/٦، وفي سنن الترمذي ٤/٢٩١، " اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك

الذين سمّاهم الله فاحذروهم " .

١٣٨ التفسير القرآني للقرآن ٤٠٦ .

١٣٩ نفسه ٤٠٥/٢ .

المَوْضِعُ الرَّابِعُ

الموضع الرابع من مواضع تعائق الوقف في القرآن الكريم في الآية السادسة والعشرين من سورة المائدة عند " محرمة عليهم " و " أربعين سنة " في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَأَنهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأْتَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

والآية، بادئ ذي بدء، في شأن اليهود من بني اسرائيل أتباع موسى، عليه السلام، الذين من الله عليهم بنعم كثيرة كاغراق عدوهم فرعون وجعلهم ملوك أنفسهم بعد أن كانوا مملوكين له، وتفضله تعالى عليهم بتظليل الغمام وانزال المني والسلوى ثم جعله الارض المقدسة^{١٤٠} وهي بيت المقدس في فلسطين سكننا لهم بشرط أن يؤمنوا بالله ويطيعوه ويمثلوا اوامر رسوله ويجاهدوا اهلها المعروفين بعظم الاجسام الموصومين بالجبروت والطغيان، فأبوا ذلك وامتنعوا فشلا وجبناً وجرأة على الله وعلى رسوله، وبلغت بهم الوقاحة الى حد أن قالوا لموسى، عليه السلام، ﴿ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^{١٤١}، فأحزن ذلك موسى وشكاهم الى الله تعالى فكان حكم الله عليهم أن قال بحقهم: ﴿ فَأَنهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾.

وقد تضمنت الآية عقوبتين تعائق الوقف عندهما، فأيهما أولى به، دون الاخرى؟ هذا ما سنعرفه، ان شاء الله تعالى، من خلال عرضنا للآية الكريمة.

١. الوقف على " محرمة عليهم ": وهي خبر إن، أما اسمها فالضمير " ها " المتصل بها العائد على الارض المقدسة، وتقدير الكلام فإن الارض المقدسة محرمة عليهم، و " هم " في " عليهم " يعود على اليهود الذين قبل لهم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم^{١٤٢} فقالوا: انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها.. الآية.

^{١٤٠} سميت بالارض المقدسة لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين.

^{١٤١} المائدة ٢٤.

^{١٤٢} الآية ٢١ من المائدة ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَأَلَّزَمَهَا عَلَيْكُمْ فَلْيَقْرَأُوا عَلَيْهَا حِكْمًا مَّا كَانَتْ لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَأَنَّكُمْ كَانْتُمْ فِيهَا كَافِرِينَ ﴾.

خاسر.

تعاقد الوقف في القرآن الكريم

وعلى هذا، فالمعنى: ان فلسطين محرمة على هؤلاء العصاة، أي محرمة عليهم دخولها وتملكهم اياها وسكناتهم فيها تحريماً مؤبداً بسبب امتناعهم من قتال الجبارين وعصيانهم الله ورسوله، لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد فلما نكسوا على اذارهم حرمت عليهم وانقلبوا خاسرين.

وهكذا شأنها مع العصاة العابثين من اليهود وغير اليهود الى ابد الابد. فاذا استجابوا لله ولرسوله جاز لهم دخولها والسكن فيها، ولذا لم يدخلها من اولئك الذين حرمت عليهم الا يوشع وكالب اللذان قالوا للعصاة ﴿ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتروا ان كنتم مؤمنين﴾^{١٤٣}، وهذا يعني انهما كانا مؤمنين صالحين والاول منهما اثنه النبوة وقام بالامر بعد موسى، عليه السلام، وافتتح فلسطين بالجيل المؤمن الذي رباه موسى على يديه جهادا وعلمنا وصبرا^{١٤٤}.

وعلى هذا الوقف يكون استئناف الكلام بعده بـ " اربعين سنة يتيهون في الارض " فـ " اربعين " منصوب بـ " يتيهون "، قال الفراء: " ولو قطعت الكلام - أي بالوقف على (عليهم) - فنصبته، أي: اربعين، بقوله " يتيهون " كأن صوابا، ومثله في الكلام^{١٤٥}، " أن تقول: " لاعطيتك ثوبا ترضى، تنصب الثوب بالاعطاء، ولو نصبته بالرضا تقطعه من الكلام (أي: بالوقف على لاعطيتك) كان صوابا " ^{١٤٦}، أي ان " اربعين " ظرف زمان للتيه، و " يتيهون " حال من الهاء والميم في " عليهم " ^{١٤٧} وهذه هي العقوبة الثانية للعصاة الفاسقين وهي أخف من الاولى لكونها مؤقتة مقيدة بمدة معينة، وتمثلت في أنهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ بين مصر والشام يسرون كل يوم جادين، فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويُمسون حيث أصبحوا، وظلوا هكذا متحيرين

^{١٤٣} المائدة ٢٣.

^{١٤٤} ينظر: تفسير الطبري ١٠/١٩٠-١٩١، جمع البيان ٢/١٨١، البيان في غربي اعراب القرآن ١/٢٨٩،

زاد المسير ٢/٣٢٩، تفسير القرطبي ٦/١٣٠، تفسير النسفي ١/٢٧٩، البحر المحيط ٣/٤٥٨، تفسير أبي

السعود ٢/١٩.

^{١٤٥} أي: مثل " فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض ".

^{١٤٦} معاني القرآن ١/٣٠٥.

^{١٤٧} ينظر: مشكل اعراب القرآن ١/٢٢٣، تفسير القرطبي ٦/١٣٠.

تأهين جيئةً وذهاباً على غير هدى حتى مات كلُّ من حُرِّمَ عليهم مِمَّنْ قالوا " انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها.. " ^{١٤٨}.

وعلى هذا يكون المعنى المراد: " ان الله سبحانه وتعالى أنزل بهم عقوبتين، الأولى: تحريم الارض المقدسة عليهم ابدا. والثانية: يتيهون في الارض اربعين سنة على نحو ما ذكرنا آنفا، او كما قال ابو حيان " يكون اخبارا بانهم لا يدخلونها وانهم مع ذلك يتيهون في الارض أربعين سنة " ^{١٤٩}.

٢. الوقف على " أربعين سنة " أي: فانها محرمة عليهم اربعين، فيكون العامل في " اربعين " محرمة، فـ " اربعين " ظرف زمان للتحريم، ولذا يجب وصل " اربعين سنة بـ محرمة عليهم " ^{١٥٠}. ومحدد بـ أربعين سنة يظلون تائهين متحيرين، فاذا أنقضت هذه المدة أُذِنَ لمن بقي منهم بالعودة إليها ودخولها والسكن فيها مع ذراريهم.

وعلى هذا الوقف يكون استئناف الكلام بعده بـ " يتيهون في الارض " لبيان كيفية حرمانهم، أي انهم بقوا في تلك الحالة أربعين سنة، فـ " يتيهون " جملة فعلية في موضع نصبٍ على الحال من الهاء والميم في " عليهم " ^{١٥١}

وبعد: فالاختلاف قائم بين العلماء (قراء ونحويين) في " اربعين " هل هي ظرف لـ " يتيهون " بعده فيكون الوقف معه على " محرمة عليهم "، أو هي ظرف لـ " محرمة " قبله فيكون الوقف على " سنة "؟ فذهب الاكثرون، كما نص على ذلك ابن الجوزي، ومنهم: عكرمة وقتادة والحسن ونافع المدني وأبو حاتم والزجاج والأخفش ويعقوب الحضرمي وابو عمرو الداني وابن كثير ^{١٥٢} الى انها ظرف للتيه، والوقف التمام على " محرمة عليهم " أي أن التحريم كان ابدا وأن التيه كان أربعين سنة. قال النحاس: " وقد رفع هذا بعضُهم الى ابن عباس

^{١٤٨} تنظر المصادر السابقة والمكتفى ١٦٥، الكشاف ٦٢٢، التسهيل لعلوم التنزيل ٣١١/١، تفسير

البيضاوي ٢٧٠/١.

^{١٤٩} البحر المحيط: ٤٥٨/٣، وينظر المكتفى ١٦٥.

^{١٥٠} ينظر: مشكل اعراب القرآن ٢٢٣/١، تفسير القرطبي ١٣٠/٦، تفسير النسفي ٢٧٩/١.

^{١٥١} ينظر: البيان في غريب أعراب القرآن ٢٨٩/١، التبيان في اعراب القرآن ٤٣١، تفسير ابي السعود

١٩/٢.

^{١٥٢} ينظر: القطع والانتفاء ٢٨٤، المكتفى في الوقف والابتداء ١٦٥، زاد المسير ٣٢٩/٢، تفسير القرطبي

١٢٩/٦، تفسير ابن كثير ٤٠/٢.

تعانق الوقف في القرآن الكريم

انه قال: مات موسى وهارون في التيه ولم يدخل احد ممن كان في التيه مِمَّنْ جاوز عشرين سنة مدينة الجبارين ولكنه فتحها يوشع بعد موسى وهارون^{١٥٣}. وعن الكلبي " لما قالوا " لم ندخلها ابدا، قال الله عز وجل ﴿فَأَنهَآ مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ابدا وهم مع هذا يتيهون في الارض أربعين سنة، قال: فلم يدخلها احدٌ ممن كان مع موسى هلكوا أجمعين في التيه الا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوقنا^{١٥٤}.

وذهب آخرون ومنهم: الربيع بن أنس والسدي ومحمد بن اسحق والفراء الى أنها ظرف للتحريم، أي انها محرمة عليهم أربعين سنة^{١٥٥} واختار ذلك الطبري وقال: " ذلك لاجماع اهل العلم بأخبار الاولين أن عوج بن عنق قتله موسى ﷺ، فلو كان قتله اياه قبل مصيره في التيه، وهو من أعظم الجبارين خلقتاً، لم تكن بنو اسرائيل تجزع من الجبارين الجزع الذي ظهر منها..^{١٥٦} وحسن هذا الاختيار النحاس بقوله: " والذي قال حسن، ويؤيده انه من قال التمام فانها محرمة عليهم وقال في الكلام تقديم وتأخير والمعنى عنده: يتيهون في الارض أربعين سنة، وسبيل النظر الأينوي بشئ تقديم وتأخير الا بحجة قاطعة^{١٥٧}. وقال ابن الجزري: " العامل في (أربعين) محرمة، على الأصح فيجب وصله معه.. لانه بيان لمدة التحريم والتيه " ^{١٥٨}، في حين خطأ الزجاج من قال بذلك، وقال: " لا يجوز أن ينتصب أربعين بالتحريم لان التفسير جاء انها محرمة عليهم ابداً " ^{١٥٩}.

والذي يبدو لي، كما أسلفت، أن الآية تتضمن عقوبتين لليهود الذين عصوا الله وخالفوا أمره من قوم موسى عليه السلام وأبوا عنادا وجرأة على الله ورسوله الى الحد الذي جعل موسى يشكوهم الى الله متبرئاً منهم بقوله ﴿هَرَبْ﴾

^{١٥٣} القطع والانتفاف ٢٨٤-٢٨٥.

^{١٥٤} المكتفى في الوقف والابتداء ١٦٥.

^{١٥٥} ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٠٥/١، تفسير الطبري ١٩٠/١٠، القطع والانتفاف ٢٨٥، التفسير الكبير

٢٠١/١١، تفسير القرطبي ١٣٠/٦.

^{١٥٦} تفسير الطبري ١٩٨/١٠.

^{١٥٧} القطع والانتفاف ٢٨٥.

^{١٥٨} التسهيل لعلوم التنزيل ٣١١/١.

^{١٥٩} ينظر: مجمع البيان ١٨١/٢م، زاد المسير ٣٢٩/٢.

اني لا أملك الاقسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴿١٦٠﴾، فكان الحكم بتحريرها عليهم الى الابد بسبب عصيانهم فضلا عن جعلهم تائهيين في الارض -عائرين لا يهتدون طريقا لمدة أربعين سنة.

ومما لاشك فيه، ان اليهودية ممهدة للاسلام الذي جاء به محمد ﷺ وفيها بشارات لهم به واشارات اليه وحث على الدخول فيه ليكون ذلك دليلاً على ايمانهم بالله وطاعتهم اياه وامتثالهم لأمره أو برهانا على عصيانهم اياه وكفرهم به واجترائهم عليه. ومن المعروف ايضاً ان اليهود كانوا وما زالوا أشد الناس عداوة للاسلام والمسلمين على مر العصور وتوالي الاحقاب، وقد أخبر سبحانه نبيه ﷺ في السورة نفسها بذلك فقال بالقسم المؤكد ﴿لنجدين أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ ﴿١٦١﴾. والوقائع والاحداث لا تدع مجالاً للشك في أنهم كذلك، وهم وراء كل مشكلة تحدث وخلف كل مصيبة تحيق بالمؤمنين، ولذا تنزه الأرض المقدسة عنهم وتحرم عليهم دخولها وسكنها وتملكها. فالاولى أن يكون تمام الوقف في هذه الآية عند قوله تعالى ﴿فانها محرمة عليهم﴾ أي: ما داموا على عصيانهم وخبثهم وجرأتهم على الله ورسوله وعداوتهم للمؤمنين.

١٦٠ المائدة ٢٥.

١٦١ المائدة ٨٢.

الموضع الخامس

في الآية الحادية والاربعين من سورة المائدة ايضا عند " ولم تؤمن قلوبهم " و " من الذين هادوا " في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَاءِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. والآية احدى آيتين في القرآن الكريم خاطب بهما الله تعالى نبيه محمدا، ﷺ بعنوان الرسالة^{١٦٢} تشريفا له وتعظيما وتفخيما لقدره، عليه الصلاة والسلام، وفي هذه الآية اشعارٌ بما يوجبُ عدم حزنه واهتمامه بأمرِ المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم واهواءهم على شرائع الله عز وجل، من المنافقين واليهود الذين يتربصون به ويمن معه الدوائر وينصبون لهم حبال المكاره، ويكيدون للأسلام وأهله، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد وعدَّه النصر عليهم والتنكيل بهم.. فالآية، اذن، تأنيسٌ للنبي، ﷺ. وعند تعانق الوقف فيها يختلف التفسير اعرابا ومعنى مع كل مقطع من مقطعيه.

١. الوقف على " ولم تؤمن قلوبهم " فتكون التلاوة ﴿لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَاءِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: لا يحزنك كفرُ المنافقين، والباء في " بأفواههم " متعلقة بـ " قالوا "، أي: قالوا بأفواههم آمنا، فـ " آمنا " مفعول قالوا، وجملة " ولم تؤمن قلوبهم " في محل نصبٍ على الحال^{١٦٣}.

والمعنى لا يحزنك المنافقون الذين لم يُضمروا في قلوبهم الايمان كما نطقت به السنتهم^{١٦٤}.

وعلى هذا الوقف يُستأنفُ الكلام بـ " ومن الذين هادوا " ولا يكون معطوفا على قوله ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ لانقطاعه منه واتصاله بما بعده (سماعون للكذب)، ويُعرَب (من الذين هادوا) خيرا مقدما ومبتدؤه؛ (سماعون للكذب،

^{١٦٢} الآية الثانية قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاتَّقِ اللَّهَ يَصْصِكُ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة ٦٧.

^{١٦٣} ينظر: الكشاف ١/٦٣٣، التفسير الكبير ١١/٢٣٢، التبيان في اعراب القرآن ٤٣٦، تفسير النسفي ٢٨٣/١، تفسير أبي السعود ٢٧/٢.

^{١٦٤} ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٤٩٧/١، تفسير القرطبي ١٩١/٦.

وأما محذوف قامت صفته (سماعون) مقامه، والتقدير: ومن اليهود قوم سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين^{١٦٥}. وعليه، فالذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم هم المنافقون أو اليهود المنافقون، والسماعون للكذب هم اليهود، وقد أستدل مرجحوا هذا الوقف بصفة (يجرفون الكلم عن مواضعه) لأن التحريف محكي عن اليهود في هذه الآية وغيرها^{١٦٦} وكأنه صفة لازمة لهم^{١٦٧}

٢. الوقف على "ومن الذين هادوا"، والتلاوة عليه: لا يجزئك الذين يسارعون في الكفر ومن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا، فيكون "ومن الذين هادوا" معطوفا على "من الذين قالوا"، وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى: منافقين ويهود^{١٦٨}. وعليه يُستأنف الكلام بـ "سماعون للكذب.. فيعرب خيرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم سماعون، ومثله قوله ﴿طوافون عليكم﴾^{١٦٩}. أي: هم طوافون^{١٧٠} والضمير عائد على الفريقين: المنافقين واليهود الذين يمثلون المسارعين في الكفر، أي ان المنافقين واليهود سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين... وَعُدِّي الكذب باللام، اما على سبيل التقوية للعمل والمبالغة فيه كما في قوله تعالى ﴿الذين هم لربهم رهيبون﴾^{١٧١}. وقوله ﴿ان كنتم للربوا تعبدون﴾^{١٧٢}، وإما لتضمين السماع معنى القبول، كما يُقال: لا تسمع من فلان، أي: لا تقبل منه، ومنه "سمع الله لمن حمده" أي: قبل: فيكون معنى "سماعون للكذب" يقبلون ما يفتريه رؤساؤهم من الاحبار وغيرهم ويحتلقونه من الكذب على الله تعالى وتحريف كتابه والطعن في محمد، ﷺ، واما للعلة والمفعول محذوف، أي: يسمعون منك اقوالك لكي

^{١٦٥} ينظر: مشكل اعراب القرآن ٢٢٦/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٢٩١/١، التفسير الكبير

٢٣١/١١، تفسير البيضاوي ٢٧٤/١، تفسير النسفي ٢٨٣/١.

^{١٦٦} تنظر: النساء ٤٦، المائة ١٣، البقرة ٧٥.

^{١٦٧} ينظر، منار الهدى ١٠٠.

^{١٦٨} ينظر: معاني القرآن للاخفش ٢٥٨/١، التبيان في اعراب القرآن ٤٣٦، البحر المحيط ٤٨٦/٣، تفسير

ابي السعود ٢٧/٢، روح البيان ٣٩٣/١.

^{١٦٩} النور ٥٨.

^{١٧٠} ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٠٩/١، اعراب القرآن للنحاس ٤٥٣/٢، تفسير القرطبي ١٨١/٦.

^{١٧١} الاعراف ١٥٤.

^{١٧٢} يوسف ٤٣.

تعاقد الوقف في القرآن الكريم

يكذبوا أو من أجل أن يكذبوا عليك وينقلوا حديثك ويزيدوا على الكلمة
اضعافها كذباً^{١٧٣}

وبعد: فمن العلماء من ذهب الى أن تمام الكلام في هذه الآية عند قوله ﴿من﴾
الذين قالوا آمنا بفواهم ولم تؤمن قلوبهم ﴿﴾ ومعها يكون (الذين يسارعون في الكفر)
هم المنافقون أو اليهود المنافقون، وقد وصف هذا الوقف بأنه حسن أي " لا
يجسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى، وقال الداني: كافٍ
ورجحته^{١٧٤} على أن (سماعون) مبتدأ وما قبله خبره، أي: من الذين هادوا قوم
سماعون، على ما بينا آنفاً. ومنهم من ذهب الى ان الكلام انما تم عند " من الذين
هادوا " يجعله نسقا على قوله " من الذين هادوا " ومعها يكون (الذين يسارعون
في الكفر) هم المنافقين واليهود، لان (من الذين قالوا) و (من الذين هادوا) تبيين
وتقسيم لقوله " الذين يسارعون في الكفر ". وقد وُصف هذا الوقف بأنه كافٍ
ايضا^{١٧٥} لتعلق ما بعده به من جهة المعنى دون اللفظ، على أن ما بعده ابتداء، أي
هم (المنافقون واليهود) سماعون للكذب.

ويبدو من سياق الآية وسبب النزول ان الوقف على " ومن الذين هادوا " هو
الارجح، وقد قيل: ان الكلام انما يتم عنده^{١٧٦} لكونه قائما على عطف اليهود
على المنافقين واشراكهم في الحكم لاتصافهم بالصفات نفسها واشراكهم في
قبول ما يفتري على النبي ﷺ، والذين آمنوا معه، وما يحاك ضدهم، وما يسمعون
منه، عليه الصلاة والسلام، ليكذبوا عليه بمسخ ما سمعوه زيادة ونقصانا وتبدلاً
وتغيراً، وفي كلا الفريقين من المنافقين واليهود من يفعلون ذلك كله وصولاً الى
مآربهم وتحقيقاً لمطامعهم.

^{١٧٣} ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٦١٩-٦٢٩، الكشاف ٦٣٣،١، البيان في غريب اعراب القرآن
٢٩١/١-٢٩٢، التفسير الكبير ٢٣١/١١، تفسير القرطبي ١٧٧/٦، تفسير البضاوي ٢٧٤/١، تفسير
النسفي ٢٨٣/١، البحر المحيط ٤٨٦/٣.

^{١٧٤} ينظر: المكتنى في الوقف والابتداء ١٦٥، منار الهدى ١٠٠.

^{١٧٥} ينظر: المكتنى ١٦٥، منار الهدى ١٠٠.

^{١٧٦} ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٤٩٧/١، التفسير الكبير ٢٣١/١١، تفسير القرطبي ١٧٧/٦.

المَوْضِعُ السَّادِسُ

نجد تعانق الوقف او المراقبة بين " بلى " و " شهدنا " في الآية الثانية والسبعين بعد المئة من سورة الاعراف ﴿وَاِذَا اخَذْتَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا اِن قَوْلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

ذهب جمهور المفسرين الى ان الآية من باب التمثيل والتخييل، أي ان الله سبحانه وتعالى أوجد بني آدم في الدنيا ثم نصب لهم دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه، وركب فيهم عقولا وبصائر تميز بين الهدى والضلال والحق والباطل والخير والشر، فاقروا له بالربوبية وشهدوا له بالوحدانية فكأنه سبحانه أشهدهم بذلك على انفسهم وقررههم وقال لهم: الستُ بربكم؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا. وهذا كله من باب التمثيل والتخييل، اذ نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل لهم وخلق الاستعداد فيهم منزلة الاشهاد، ونزل تمكينهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاعتراف فلم يكن هناك أخذ واشهاد وسؤال وجواب^{١٧٧}.

١. الوقف على " بلى ": واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى. أي: بلى أنت ربنا والهنا لا رب لنا غيرك، اقرارا له، سبحانه، بالعبودية، لان كل بالغ يعلم ان له ربا واحدا، وفي قولهم " بلى " اجراء للنفي مع التقرير^{١٧٨} مجرى النفي المجرد في رده بـ " بلى " ولذلك قال ابن عباس (لو قالوا " نعم " لكفروا، قال ابن هشام: " ووجهه أن (نعم) تصديق للمخبر بنفي او ايجاب

^{١٧٧} ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١/٦٤٩، الكشاف ٢/١٧٦، التفسير الكبير ١٥/٥٠، الفوائد في مشكل القرآن ٧١، التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٩٧، تفسير البضاوي ١/٣٧٦، تفسير النسفي ٢/٨٥، البحر المحيط ٤/٤٢٠، فتح القدير ٢/٢٦٢، تفسير ابي السعود ٢/٢٠٩، روح البيان ٣/٢٧٣، و اجراء الكلام على التمثيل وارد في القرآن والحديث وكلام البلغاء ومنه قوله تعالى ﴿فَرِاسِوٰى اِلَى السَّمَآءِ هِيَ دِخَانٌ فَنَالَهَا وَالْاَرْضَ اَنْبَاطًا طَرَعًا اِنْ كَرِهَا قَالًا اِنَّا طَاعْنَا﴾ فصلت ١١، وقوله تعالى ﴿اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَا اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ النحل ٤٠.

^{١٧٨} أي: تقرير ما بعد النفي ومعناه " حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده ثبوته او نفيه، ويجب ان يليها الشئ الذي تقرر به " ينظر: مغني اللبيب ٢٦.

تحائق الوقف في القرآن الكريم

ولذلك قال الجماعة من الفقهاء: لو قال (ليس لي عليك الف) فقال: "بلى" لزمته، ولو قال "نعم" لم تلزمه^{١٧٩} فتمام الوقف عند "بلى" لان كلام الذرية قد أنقطع هاهنا ثم يستأنف الكلام بـ "شهدنا ان تقولوا"، وعلى هذا تكون "شهدنا" خيرا من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على اقرار بني آدم^{١٨٠}، وتكون "أن تقولوا" في موضع نصب على المفعول له، أي لئلا تقولوا او كراهة ان تقولوا^{١٨١} يوم القيامة ما أقررنا. هذا ان كانت "تقولوا" بالثناء، على قراءة العشرة سوى أبي عمرو بن العلاء^{١٨٢} لان "أن" متعلقة بـ "شهدنا"، اما اذا كانت بالياء "يقولوا" على قراءة ابي عمرو فلا يتم الوقف على "قالوا" بلى "لان" أن "تكون متعلقة بما قبل" بلى "من قوله ﴿وَأشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ويكون التقدير وأشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، والكلام متصل ولا يكون الوقف التام الا عند وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم يرجعون" أي بعد آيتين^{١٨٣}. وكذا ان كانت "شهدنا" من كلام الذرية فلا يصح الوقف على "بلى" لتعلق ما بعدها بما قبلها لفظا ومعنى^{١٨٤}.

٢. الوقف على "شهدنا": أي "قالوا بلى شهدنا" فشهدنا من كلام بني آدم (الذرية). بمعنى: شهدنا على أنفسنا بانك ربنا ولا ربَّ غيرك، وعلى هذا فـ "أن" بعد شهدنا تكون متعلقة بمحذوف يُبتدأ الكلام به بعد الوقف، والتقدير: فعلنا ذلك لئلا تقولوا او كراهة أن تقولوا.. الخ^{١٨٥}، فان لم يُقدَّر محذوف فلا يجوز الوقف على "شهدنا" لأن "أن تقولوا" المبتدأ بها بعده تكون متعلقة بما

^{١٧٩} مغني اللبيب ١٥٤.

^{١٨٠} ينظر: زاد المسير ٣/٢٨٥، تفسير القرطبي ٧/٣١٨، التفسير الكبير ١٥/٥٢، وفي مجمع البيان ٢م/٤٨٩ "لان الملائكة لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد ان يكون اخبارا عنهم".

^{١٨١} البيان في غريب اعراب القرآن ١/٣٧٩، وينظر: القطع والانتناف ٣٧٢، التبيان في اعراب القرآن ٣٠٦، تفسير البيضاوي ١/٣٧٦، تفسير النسفي ٢/٨٥، فتح القدير ٢/٢٦٣.

^{١٨٢} ينظر: ارشاد المبتدى وتذكرة المنتهي ٣٤١، النشر ٢/٢٨٣، الاتحاف ٢/٦٩، وفي القطع ٣٧٣ "فعلى هذه القراءة يجب ان يكون الوقف على "بلى".

^{١٨٣} ينظر: القطع والانتناف ٣٧٤، المكتفى ١٨٩-١٩٠، تفسير القرطبي ٧/٣١٨.

^{١٨٤} ينظر: منار الهدى ١٢٩.

^{١٨٥} ينظر: منار الهدى ١٢٩.

قبل " بلى " من قوله " وأشهدهم على أنفسهم " ، وعلى هذا فالكلام متصل
ايضا ولا يتم الا عند " ولعلمهم يرجعون " كما أسلفنا.
وبعد: فالوقف التام الراجح في هذه الآية على " بلى " إن قرئت " أن تقولوا
" بالتاء، وهو اختيار الجمهور. والوقف المرجوح على " شهدنا " لا يصح الا
بتقدير محذوف، وهو اختيار الاخفش وابي حاتم واحمد بن موسى^{١٨٦}، وماعدا
ذلك يكون معه الكلام متصلاً ببعضه ببعض ولا يجوز الوقف. وذهب ابن
الانباري الى ان الوقف على " شهدنا " غلط لان " أن " متعلقة بالكلام الذي
قبلها كانه قال: " وأشهدهم على أنفسهم لان لا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين
" فحذفت " لا " واكتفي منها بـ (أن) كما قال ﴿بين الله ان تضلوا﴾^{١٨٧} معناه
" لان لا تضلوا " .. وتام الكلام على قوله ﴿ولعلمهم يرجعون﴾^{١٨٨} .

^{١٨٦} ينظر: القطع والانتاف ٣٤٣.

^{١٨٧} النساء: ١٧٦.

^{١٨٨} ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٦٦٩-٦٧٠.

الموضع السابع

في الآية الواحدة بعد المئة من سورة التوبة تعانق الوقف او حصلت المراقبة بين " منافقون " و " أهل المدينة " في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُنْفَعُهُمْ سَتَعْلَمُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ كَثِيرًا وَذُنُوبُهُمْ عَظِيمَةٌ ﴾.

هذه الآية الكريمة واحدة من ست آيات رسمت بجلاء ووضوح احوال العرب الذين سكنوا المدينة او نزلوا حولها، والاعراب هم من سكن البوادي من العرب، فمن أستوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو اعرابي، ومن المعروف ان الاعراب أقسى قلبا واغلظ طبعا واجفى قولا وابتعد عن سماع كتب الله. وما جاءت به رسله من غيرهم، قال تعالى ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾^{١٨٩} ثم بين احوال قسم منهم يُنفقون اموالهم في سبيل الله رياء وتقية " وصولا الى غاية هي التربص بالمؤمنين لاعتقادهم ان هذا الانفاق غرامة وخسران"^{١٩٠}، ولكن القسم الآخر على العكس تماما يؤمنون بالله ورسوله ويتقربون الى الله بما ينفقون كما أنهم يتخذون استغفار الرسول ﷺ ودعاءه لهم قربة عند الله^{١٩١}، ثم ذكر تعالى السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بأوصافهم الإيمانية وما أعد لهم من النعيم في الدنيا والآخرة^{١٩٢}، ثم يأتي بعد ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ الآية.

١. الوقف على " منافقون " : " وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ " أي أن عدداً او جماعة ممن نزلوا حول المدينة موصوفون بالنفاق والقبائل التي نزلت حول المدينة هي: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع، على ما ذكر المفسرون. ف " ممن حولكم " في محل رفع خبر مقدم و " من الاعراب " في محل نصب على

^{١٨٩} التوبة ٩٧.

^{١٩٠} التوبة ٩٨، ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَبْتَغِي مَغْرَمًا وَيَتَيْبَسُ بِكُفْرِ الَّذِينَ دَارُوا عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّورِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

^{١٩١} التوبة ٩٩ ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَزُومُ بِاللَّهِ وَيَذَرُ الْأَخْرَافَ وَيَتَّخِذُ مَا يَبْتَغِي قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَحَلُولَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِوَا ذَلِكَ لَمَّا رَضِيَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ أَنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

^{١٩٢} التوبة ١٠٠ ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي بَيْتِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِهِ إِنَّهُمْ عَلَى اللَّهِ يَأْتُونَ بِالْحَقِّ بَلَدًا كَثِيرًا سَبِيحًا تَلْحِقُ الْبَلَدَ الْأُخْرَى وَإِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَخْرُجُونَ فِي الْأَشْهُارِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ رَجَبٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى النَّبِيَّ وَالرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامًا ﴾.

الحال، و " منافقون " مبتدأ مؤخر، أما جملة " ومن أهل المدينة " المتبدأ بها بعد الوقف فمعطوفة على جملة " ممن حولكم من الاعراب منافقون ". وتعرب خيرا لمبتدأ محذوف قامت صفته " مردوا " مقامه، لكون الموصوف (قوم) بعض ما قبله من المجرور بـ " من " (أهل المدينة)^{١٩٣}، والتقدير " ومن أهل المدينة قوم أو منافقون مردوا على النفاق. أي ان هناك خبيرين في جملتين، الأولى: اخبار بان قسما من الاعراب النازلين حول المدينة منافقون، والثانية: اخبار بان قوماً من أهل المدينة مروا على النفاق وتجردوا له وأقاموا عليه ولم ينشروا عنه^{١٩٤}. وقد وُصف هذا الوقف او القطع بأنه كافٍ^{١٩٥} لكون ما بعده متعلقا به من جهة المعنى دون اللفظ، و " مردوا " صفة للمنافقين من أهل المدينة دون المنافقين من الاعراب.

٢. الوقف على " ومن أهل المدينة ". أي: ومن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق^{١٩٦}، فـ " ومن أهل المدينة " خير معطوف على خير المبتدأ الذي هو " مَنْ " في قوله " وَمِمَّنْ " فيكون المجروران (مَنْ حولكم من الاعراب) و (أهل المدينة) مُشْتَرِكَيْنِ في المبتدأ الذي هو " منافقون ". والمعنى: " ومن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة مثل ذلك^{١٩٧}، وتعرب " مردوا"، والحالة هذه، صفة للمبتدأ " منافقون " فُصِّلَ بينها وبينه بمعطوف على خبره^{١٩٨}، وهذا، وان كان جائزا في العربية، كما أثبت الزمخشري، لكنه بعيد، قال ابو حيان: " وبعد أن يكون

^{١٩٣} ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ١٧٠ وفيه " يُقام التعت مقام المنعوت كثيرا ان عُلم جنسه وتعت بغير ظرف وجملة او باحدهما بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ " من " او " في " وان لم يكن كذلك لم يقم الظرف والجملة مقامه الا في الشعر "

^{١٩٤} ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٣٨/٢، الكشاف ٣٠٥/٢، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٠٥/١، زاد المسير ٤٩١/٣، التبيان في اعراب القرآن ٦٥٧، تفسير القرطبي ٢٤٠/٨، تفسير النسفي ١٤٢/٢، البحر المحيط ٩٣/٥، الاعراب المنسوب الى الزجاج ٢٩٣، فتح القدير ٣٩٨/٢، تفسير ابي السعود ٢٩٢/٤.

^{١٩٥} ينظر: القطع والانتفاف ٣٦٦، منار الهدى ١٤٣.

^{١٩٦} ينظر: التفسير الكبير ١٦/١٧٣.

^{١٩٧} تفسير القرطبي ٢٤٠/٨. وينظر: زاد المسير ٤٩١/٣، البحر المحيط ٩٣/٥.

^{١٩٨} ينظر: الكشاف ٣٠٥/٢، مجمع البيان ٦٦/٣، التبيان في اعراب القرآن ٦٥٧، تفسير البيضاوي

٤٣٠/١، تفسير ابي السعود ٢٩٢/٢.

تعاينُ الوقفِ في القرآنِ الكريمِ

مردودا صفة للمبتدأ الذي هو " منافقون " لاجل الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف على ومن حولكم، فيصير نظير: في الدار زيداً وفي القصر العاقل، وقد أجازهُ الزمخشري تابعا للزجاج " ١٩٩ . والذي يختار هذا الوقف يكون الكلامُ عنده مبتدأً بجملة " مردوا على النفاق " وهي جملة ((مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق إثر بيان اتصافهم به)) ٢٠٠ .

وبعد: فالمختار في هذه الآية الوقف على " منافقون " ان جعلَ التقديرُ بعده: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، بعطف جملة على جملة. ولا يكون الوقف كافياً بعد هذا في الآية الا عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ويتبدأ بعده بـ " وآخرون اعترفوا بذنوبهم.. " ٢٠١ .

اما الوقف على " ومن اهل المدينة " بعطفه، وهو خير، على خير المبتدأ الذي قبله " منافقون " وجعل مردوا بعده جملة في موضع النعت لـ " منافقون " مفصولة عنه بمعطوف على خير " منافقون " فجائز ٢٠٢ لكنه بعيد، ولذا فالأولى وصله لما بعده لتعلقه به، وعدم الوقف عليه والاكتفاء بالوقف على " منافقون " .

^{١٩٩} البحر المحيط ٩٣/٥، وينظر الكشاف ٣٠٥/٢ .

^{٢٠٠} تفسير ابي السعود ٢٩٢/٢ .

^{٢٠١} التوبة ١٠٢، وينظر: القطع والانتفاء ٣٦٦ .

^{٢٠٢} الوقف الجائز كالحسن، يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به .

المَوْضِعُ الثَّامِنُ

في الآية التاسعة من سورة ابراهيم حدثت المراقبة أو تعاقب الوقف عند " ثمود " و " من بعدهم " في قوله تعالى ﴿الْمُرَاتِبَاتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ مَسَلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

والذي عليه الجمهور ان هذه الآية ابتداءً خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبوة النبي محمد ﷺ، تحذيراً لهم عن مخالفتِهِ على سبيل الاستطراد، وليست من خطاب موسى لقومه كما في الآيات السابقة لها.

١. الوقف على " ثمود ": الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعادٍ وثمود. ف (قوم نوح وعاد وثمود) بدلٌ من (الذين من قبلكم)، وبه يتم الكلام، ويبدأ بعده بـ " والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله " ٢٠٣ وهذه الجملة مؤلفة من مبتدأ وخبر متصلين ببعضهما اذ جملة (والذين من بعدهم) في موضع رفع مبتدأ، وجملة (لا يعلمهم الا الله) في موضع رفع خبر ٢٠٤. وقد وُصِفَ هذا الوقف بأنه تامٌ او كافٍ ٢٠٥.

٢. الوقف على " والذين من بعدهم " بالعطف على (قوم نوح وعاد وثمود " او على " الذين من قبلكم "، وهي أي جملة (والذين من بعدهم) في موضع خفض لكونها معطوفة على مخفوض قبلها. و " الذين من بعدهم " في هذه الآية خير مجمل ذكر بعض تفصيله في آياتٍ أُخر كقوله تعالى ﴿الْمُرَاتِبَاتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ الْمَدِينِ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ مَرْسَلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَمَا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ وَلَا يَخَافُونَ﴾ ٢٠٦، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ يَكْفُرْ بِكَ فَتَدْرِكْ كَذِبَتْ قَوْلُكُمْ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطَ وَأَصْحَابِ الْمَدِينِ وَالْكَذِبُ مِنْ مَوْسَى

٢٠٣ ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٧٣٩.

٢٠٤ ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٢، جمع البيان ٣٠٥/٣، التبيان في اعراب القرآن ٧٦٤، تفسير

ابي السعود ١١٩/٣.

٢٠٥ ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٧٣٩، القطع والاستئناف ٤١٤، المكتفى في الوقف والابتداء ٢٢٤، منار

الهدى ١٧٤.

٢٠٦ التوبة ٧.

تعانق الوقف في القرآن الكريم

فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿٢٠٧﴾ وقوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود، وعاد وفرعون وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ ﴿٢٠٨﴾. ولأنه لم يُفصّل باكملهم، قال تعالى ﴿لا يعلمهم الا الله﴾ فهم من الكثرة بحيث لا يُحصى عددهم ولا يُحيط بهم علما الا الله سبحانه، اذ انهم من بعد قوم ثمود الى زمان سيدنا محمد ﷺ، والدليل على هذا ماروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، من انه قال: " بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون" وروي عن النبي محمد ﷺ، انه قال لما سمع النسابين ينسبون الى معد بن عدنان ثم زادوا: " كذب النسابون ان الله يقول ﴿لا يعلمهم الا الله﴾ " ﴿٢٠٩﴾

وهذا الوقف تام عند نافع وابي حاتم واحمد بن جعفر ^{٢١٠}، وقيل كاف ^{٢١١}. وبعد: ف " لا يعلمهم الا الله" على الوقف الاول خير لـ "والذين من بعدهم"، وعلى الوقف الثاني استئناف للأخبار عن العاطف (الذين من بعدهم) والمعطوف عليه (قوم نوح وعاد وثمود) وهو الأولى، لأن أخبار الامم والاقوام وردت في القرآن الكريم جملة من غير عدد ولا عمر ولا كيفية ولا كمية، وتفصيل ذلك ومعرفته واحصاؤه وتحصيل علمه انما هو من شأن الله تعالى، وهذا ما يؤدبه الوقف على " والذين من بعدهم " دون الوقف على " ثمود ".

^{٢٠٧} الحج ٤٢-٤٤.

^{٢٠٨} سورة ق ١٢-١٤.

^{٢٠٩} ينظر: الكشاف ٥٤٢/٢، تفسير القرطبي ٣٤٤/٩، التفسير الكبير ١٩/٨٨.

^{٢١٠} ينظر: القطع والانتفاء ٤١٤، منار الهدى ١٧٤.

^{٢١١} ينظر: منار الهدى ١٧٤، المقتصد ١٧٤.

الموضع التاسع

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة القصص عند " اليكما " و " آياتنا " في قوله تعالى لسيدنا موسى، عليه السلام، ﴿سَشِدْ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَجْعَلْ لَكَ سُلْطَانًا فَلْيَصِلُونَ إِلَيْكَ بِآيَاتِنَا إِنَّمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾^{٢١٢} والآيات التي قبلها تصور رجوع موسى، عليه السلام، من فلسطين الى مصر التي خرج منها خائفا يترقب بعد حادثة القبطي الذي وكزه فقضى عليه، رجوعه بالبراهين والادلة والحجج على صدق نبوته، وسؤاله الله سبحانه وتعالى ان يجعل أخاه هارون رسولا معه الى فرعون وملئه ليعينه على أداء المهمة بما أوتي من طلاقة في اللسان وفصاحة في القول^{٢١٣}. فكان جواب الله تعالى له هذه الآية.

والمراقبة فيها، كما أسلفنا " اليكما " و " آياتنا " .

١. فاذا وقف على " اليكما " ابتدئ بـ " آياتنا " وكان تعلقها بمحذوف أو بـ " الغالبون " . فان تعلق بمحذوف فالتقدير: اذها بآياتنا أنما ومن اتبعكما الغالبون^{٢١٤} بدليل قوله تعالى ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾^{٢١٤}. وان تعلق بـ (الغالبون) ابتدئ بها ايضا، وكان في الكلام تقديم وتأخير، وهذا ماذهب اليه الاخفش واختاره الطبري^{٢١٥}، والمعنى عليه: انما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا^{٢١٦}، أي: انما ومن اتبعكما الذين يغلبون بآياتنا، وعلى هذا التقدير تكون " آياتنا " داخلة في الصلة وفيه تقديم الصلة على الموصول وتفریق بينهما وهذا ما يمنع النحاة، لأن الصلة تمام الاسم، كأنك قدمت بعض الاسم وانت تنوي به

^{٢١٢} القصص ٣٣، ٣٤ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ سَهْرًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَعُ مِنِّي لِسَانًا فَأرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمُونِ﴾.

^{٢١٣} ينظر: الكشاف ٤٦٠/٣، زاد المسير ٢٢١/٦، تفسير البيضاوي ١٩٣/٢، تفسير السفي ١٨٠/٣، فتح القدير ١٧٣/٤، روح البيان ٤٠٤/٦.

^{٢١٤} الشعراء ١٥.

^{٢١٥} ينظر: تفسير الطبري ٧٦/٢٠، القطع والانتفاء ٥٤٦، فتح القدير ١٧٣/٤.

^{٢١٦} تنظر المصادر السابقة وتفسير القرطبي ٢٨٧/١٣، وتفسير ابن كثير ٣٨٩/٣.